الفصل الثالث

الحزن في أشعار التيجاني يوسف بشير وإدريس جماع

المبحث الأول: الحزن في أشعار التيجاني يوسف بشير

المبحث الثاني: الحزن في أشعار إدريس محمد جماع

المبحث الثالث: مظاهر الحزن عند التيجاني وإدريس (مقارنة بينهما)

المبحث الأول

الحزن في أشعار التيجاني يوسف بشير

معنى كلمة حزن: الحزن: نقيض الفرح وهو الغم والهم، وحزن: ما غلظ من الأرض وجمعها حزون، والحزن من الدواب: ما خَشُن والأنثى حَزْنة.

حزين معناها الحزن نقيض الفرح والسرور، والحزين المهموم والمغموم، قال تعالى: (وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) أي الألم والمرارة والغم[1].

معنى كلمة الحزن هي الحالة التي يصل إليها الإنسان عندما تتجمع في نفسه دوافع الصدمة من ألم ومحن نتيجة الكآبة.

ومعنى حزن في لسان العرب والحزن نقيض الفرح وهو خلاف السرور قال الأخفش والمثالان يعتقبان هذا الضرب باطراد والجمع[2].

معنى كلمة حزن في المفردات في غريب القرآن، حزن: الحُزن والحَزَنُ خشونة في الأرض وخشونة في النفس لما يحصل فيه من الغم ويضاده الفرح، ولاعتبار الخشونة بالغم قيل خشنت بصدره إذا حزنته يقال حزن يحزن. قال عز وجل: (لكيلا تحزنوا على ما فاتكم) فليس لك بنهي عن تحصيل الحزن فالحزن ليس يحصل بالاختيار، ولكن النهي في الحقيقة إنما هو تعاطي ما يورث الحزن واكتسابه[3].

والحزن في الاصطلاح: قال الكفويُّ: الحزن: غمٌّ يلحق من فوات نافع أو حصول ضار، وقال بعضهم: الخوف علة المتُوقع والحُزْن علّة الواقع[4].

---

(1) الأسماء العربية معانيها ومدلولاتها، حسن نورالدين، دار الكتاب الحديث.

(2) لسان العرب: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، (630هـ – 711هـ)، ج15، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، معها تصويبات وفهارس، ص 266.

(3) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى سنة (502هـ)، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1961م، ص 115.

4 الكليات معجم في المصطلحات والفروق واللغة ، للكفوي أيوب بن موسى الحسين الكفوي، الحنفي (أبو البقاء) ولد بكفا بالقرم وتوفى وهو قاضٍ بالقدس، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري – دار مؤسسة الرسالة – بيروت – 1412هـ– 1992م ، ص 428.

أما عن مظاهر الحزن في بعض أشعار السودانيين، حيث نجد أن ظاهرة روح العزاء والسلوى في الإنتاج الأدبي ، فإذا تصفحنا الأدب السوداني منذ بداية النهضة الأدبية في الجيل الماضي إلى عهد قريب، وجدنا أنه، في أكثر الأحيان، يعبر عما يسمو بروح العزاء والسلوى كما قال: عبدالمجيد عابدين: "فالشعراء وكتاب القصة يصدرون عن هذه الروح سواء أشعروا بذلك أم لم يشعروا"[1].

وترى الباحثة بأن الكثير من الأدباء ينشدون السلوى باستدعاء ذكريات غابرة، والتصبر بالأماني والأحلام والتسلي عن الحاضر بأيام الطفولة ومجال الصبا، فما أكثر الأدباء الذين فزعوا إلى الحب فصوروا حالاتهم ومواقفهم وصوروا الحب مخففاً حيناً ومتحققاً حيناً آخر، وقد يروع النقاد ذلك الفيض الذاخر من قصائد الحب والغرام، وما فيها من وصف للنشوات وتهويمات العالم الولهان وهي قصائد تسترعي الانتباه بكثرتها مما يدفع الباحثين إلى التماس تفسير لهذه الظاهر وهي تذكرنا بظاهرة انتشار الغزل في صدر الإسلام بين شعراء الحجاز عقب قيام بني أمية على الحكم ومحاصرة ذلك بسياج منيع، حال دون اشتراك الحجازيين في الحكم والعمل في السياسة...، وما أكثر تهافت الأدباء على أدب الدعاء والابتهال والتشبث بأستار الغيب وأعتاب السادة، أولئك قوم أحسوا في أنفسهم حرجاً وضيقاً، ففزعوا إلى ملجأ يلوذون به وغوث يلجأون إليه[2].

---

(1) دراسات سودانية (مجموعة مقالات في الأدب والتاريخ)، عبدالمجيد عابدين، دار التأليف والترجمة والنشر جامعة الخرطوم، ط2، يناير 1972 م، ص 56-57.

(2) انظر: دراسات سودانية (مجموعة مقالات في الأدب والتاريخ)، عبدالمجيد عابدين، مرجع سابق، ص57.

قال عبدالمجيد عابدين: "حتى أدب الاعتزاز والقوة الذي نجده عند محمد سعيد العباسي مثلاً فهو ينشد في طياته العزاء والسلوى، لقد وقف العباسي يصول ويجول مدافعاً حيناً ومهاجماً حيناً آخر في حيوية وقوة، ولكن هذه الحركة النفسية الدائبة ليست في الواقع إلا قناعاً من الشاعر يتعزى به ولا أدل على ذلك من ترديد الشاعر لشكوى الزمان والتحسر على ذكرياته الضائعة وشعوره بالحرمان، فلم يكن بد من أن يرجع العباسي إلى مواطن ذكرياته الأولى لعله أن يجد في رحابها سلواه وعزائه وأن يعود إلى ابتهالاته الصوفية يتخذها منفذاً للتصبر والاسترواح"[1].

اسمه:

هو أحمد التيجاني بن يوسف بشير بن بشير بن الفقيه بشير جزري بن محمد قليمة بن علي بن أحمد بن إبراهيم بن محمد عبدالله شبارق بن أحمد كتي بن عبدالله أبو خمسين بن ضواب بن غانم بن حميدان بن صبح أبو مرخة بن مسمار بن سرار بن أحمد اليماني بن إبراهيم الهاشمي المشهور بجعل[2].

جاء اسمه مركباً – أحمد التيجاني – سماه أبوه تيمناً بشيخه أحمد التيجاني صاحب وشيخ الطريقة التيجانية المعروفة ، لقبه: هو التيجاني يوسف بشير دون أحمد التيجاني، واشتهر بين الناس به[3].

---

(1) تاريخ الثقافة العربية في السودان، عبدالمجيد عابدين، مرجع سبق ذكره 201.

(2) التيجاني يوسف بشير عصره وحياته وشعره، جاداالله الطاهر النذير، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، 1973م، ص 67.

(3) جاد الله الطاهر النذير، مرجع سابق، ص 67.

مولده:

تؤرخ روايتان لميلاد التيجاني، تقول الأولى: أنه ولد عام 1912م، ورواتها محمد عبدالرحيم[1]، وقاسم عثمان نور[2]، وبكري بشير[3]، بينما يروى نقاد آخرون أن التيجاني ولد عام 1910م، منهم هنري رياض[4]، وعزالدين الأمين عبدالرحمن[5]، ومحمد الحسين علي فضل[6].

والراجح أن التيجاني ولد عام 1912م للآتي:

أ/ عمل التيجاني مصححاً في الصحف والمجلات، كما أطلع على تاريخ ميلاده وكتاب النفثات عام1912م، ولم يعترض عليه، وهذا إقرار ضمني من التيجاني بميلاده عام 1912م.

---

(1) نفثات اليراع في الأدب والتاريخ والاجتماع، محمد عبدالرحيم، الخرطوم، شركة الطبع والنشر بالخرطوم، 1936م، ج1، ط1، ص 223.

(2) الشاعر التيجاني يوسف بشير والروائي الطيب صالح دراسة ببليومترية، الخرطوم، وزارة الثقافة، 2004م، ط1، ص 3.

(3) نقلاً عن رسالة الطالب بعنوان: الاتجاه الرومانسي في شعر التيجاني يوسف بشير وإدريس جماع دراسة أدبية نقدية، ونقلاً عن رسالة إعداد التاج محمد شروفه، إشراف الدكتور أبو صباح على الطيب1432هـ – 2011م، والتقى التاج محمد شروفه مع بكري بشير بمجمع العلوم الهندسية كلية قسم اللغة الإنجليزية – وكان اللقاء بتاريخ 2009/9/18م وأمه زينب يوسف بشير أخت التيجاني الكبرى – ومثل بكري أسرة التيجاني مع محمد عبدالحي، وأحمد محمد البدوي في جمع إبداع التيجاني النثري ولكن اختلف البدوي ومحمد عبدالحي فأصدر محمد عبدالحي وبكري بشير كتاب

(4) التيجاني يوسف بشير شاعراً أو ناثراً، هنري رياض، بيروت، دار الثقافة، ط1، ص 18.

(5) نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين عبدالرحمن، ط1، ص 69.

(6) حياة التيجاني من شعره، محمد الحسن علي فضل، الخرطوم، مؤسسة أروقة للثقافة والعلوم، 2003م، ط1، ص 7.

ب/ أخذ بعض الباحثين ميلاد التيجاني 1912م من والده مباشرةً، منهم أحمد محمد البدوي، وبكري بشير هو ابن أخت التيجاني، كما أنه شارك في جمع آثار التيجاني الفنية.

ولد الشاعر بمدينة أم درمان حي الركابية، يوم الأربعاء 28 فبراير 1912م الموافق 15 ربع الأول 1333هـ، لأبوين جعليين من فرع الكتياب وأمه نور الشام بنت أبي بكر محمد ود الجعلي وكان لأسرة التيجاني اهتمام بالشعر، فقد كانت جدته شاعرة مدحت الشيخ قريب الله وعمه محمد سعيد الكهربجي شاعراً وابن عمه ومنافسه بالمعهد محمد عبدالقادر كرف شاعر أيضاً[1].

في العام الذي ولد فيه التيجاني شهد السودان مولد طفل قدر له فيما بعد أن يكون حامل لواء الشعر التجديدي في السودان كان ذلك بمنزل الأسرة المقيمة بحي الركابية بأم درمان بالقرب من شارع كرري وبجوار حي المسالمة.

نسبه وأسرته:

تتكون أسرة التيجاني من أمه وأبيه وثمانية أبناء كان أحمد التيجاني هو الثالث بعد بنتين ثم رزق الله والده بولدين أصغر منه أحدهما اسمه محمد والآخر محمد علي، كما رزق بثلاث بنات أخريات[2] [3].

عاشت أسرة التيجاني في نفس البيت الذي ولد فيه والده كان يعمل صانعاً للأحذية البلدية التي نسميها المراكيب، حفظ القرآن في خلوة الفكي بشير جزري إضافة إلى الثقافة الدينية التي تلقاها من كبار العلماء بالجامع الكبير بأم

---

(1) التيجاني يوسف بشير الشاعر السوداني، دراسة نقدية، تجربته الشعرية، بدرالدين هاشم، دار النشر للمطبوعات العربية للتأليف والترجمة، ط1، ص 39.

(2) التيجاني يوسف بشير أضواء على حياته وشعره، إبراهيم التكينه، دار الآداب أم درمان، ط1، نوفمبر 1975م، ص 14.

(3) التيجاني يوسف بشير شاعراً وناثراً، هنري رياض، دار الثقافة بيروت، ص 18.

درمان أما والدته، نور الشام بابكر محمد علي أحمد من قرية العالياب والدها كان من جنود المهدية وحرفته تصليح الأسلحة استشهد في موقعة كرري في سبتمبر 1898م[1].

أما أخوات التيجاني فهن: الكبرى الزهراء وبعد وفاتها رزق الله والديه ست بنات وثلاثة أولاد توفيت الزهراء فرثاها التيجاني بقصيدة عنوانها: دمعة على طفل، يقول فيها:

وأسأل عن الزهراء إن تك واجداً خبراً لها بين الندى الزاخر

أختي وأول زهـرة زانت بها أم العلاء جبين أصيد زاهر[2]

رثا هذه الطفلة التي أخذتها يد المنون وهي كالملاك الطاهر، فقدتها الأسرة ونثرت العبرات حزناً عميقاً عليها وخاصة محمد الذي كان موتها له كأنه خاطر وهمي، أما الأخريات فهن زينب وهي أصغر من محمد وأم الحسن والسارة وعائشة وآمنة وأخيراً بعد وفاته كانت خديجة.

يتصل هذا النسب إلى العباس بن عبدالمطلب الذي تنتمي إليه قبيلة الجعليين التي تسكن شمال السودان ومركز ثقلها من الشلال السادس جنوباً إلى عطبرة شمالاً وتشمل الضفتين الشرقية والغربية لنهر النيل ثم تفرقت في مختلف أنحاء السودان ومن فروعها، فرع أم درمان الذي ينسب إليه الشاعر[3].

الكتيِّاب بيت مشهور من بيوت السودان، من قبائل الجعليين الذين عرفوا بالإقدام والكرم والسماحة[4].

---

(1) التيجاني يوسف بشير عصره وحياته وشعره، مرجع سابق، ص 70، رسالة ماجستير.

(2) ديوان إشراقة، ص 70.

(3) السودان الشمالي سكانه وقبائله، محمد عوض محمد، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص 169.

(4) ديون شعر إشراقة، ط4، مطبعة التمدن الخرطوم، مقدمة الديوان.

نشأة التيجاني:

تتفق الروايات على أن الشاعر ولد بحي الركابية، الذي يجاور حي المسالمة المسيحي وهما مجاوران لسوق أم درمان من جهة الجنوب، ولمقابر أحمد شرفي شمالاً، مما يتيح لبعض صبية الحيين ممارسة بعض الأعمال التجارية، من نحو إرشاد الحطابين إلى مواقع بيع الحطب بمقابل أجر زهيد من الملاليم. ويروى أن التيجاني بزّ أترابه حتى لقب بالحاوي[1].

ولما تغيرت أفكار التيجاني في أمر الأدب السوداني لعشقه لمصر فصار ولهاناً بها مما حدا به أن يكتب مقالات لتلك الوحدة مثل ضرورة الوحدة الأدبية بين مصر والسودان، ونجد قصائده تحدثت عن عشقه لمصر في هذه الفترة والتي كان يعاني فيها كثيراً من المرض والفقر معاً ثم التحق بجريدة النيل عام 1935م في وظيفة مصحح بأجر أسبوعي ولكنه لم يستمر كثيراً، وفي عام 1936م التحق محرراً بمجلة أم درمان التي كان يصدرها المؤرخ محمد الرحيم، حرر ستة أعداد إذ أقاله صاحبها من وظيفته اعتباراً من 1936/2/13م[2]، وكانت الإقالة في ذات المجلة عبارة عن إعلان صغير[3].

نشأ التيجاني في ذلك المنزل الذي ولد فيه، وذات الحي بالعاصمة الوطنية أم درمان، وتربى بين إخوته في حياة عادية كمعظم سكان هذه المنطقة.

---

(1) المليم فئة نقدية معدنية سودانية قديمة كان القرش يساوي عشر مليمات، ويلي المليم في القيمة النقدية المعدنية التعريفة، وتساوي خمسة، التيجاني يوسف بشير الشاعر السوداني، دراسة نقدية وتجربته، بدر الدين هاشم، المطبوعات العربية للتأليف والترجمة، ط1، ص 18.

(2) التيجاني يوسف بشير شاعراً وناثرا، هنري رياض، مرجع سابق، ص 15.

(3) المرجع نفسه، ص 36.

كانت طفولة التيجاني عادية داخل الخلوة وبدأ ينهل منها الدروس الأولى في المعرفة، ولم يكن مغرماً بلعب كرة الشراب والبلي ولكنه كان مغرماً بذاك الطين والأرض المبللة بمياه الأمطار، ومن ذلك الطين يبني بيوتاً وعرائس، بعمق تلك الذكريات[1].

نجد أن التيجاني شاعر الرومنطيقية الأول في الأدب السوداني المعاصر أما عن نشأته قال صلاح الدين محمد عبدالتواب: "كانت نشأته في بيئة دينية محافظة من حيث التربية والتعليم فنهل من فيض الثقافة العربية الإسلامية، وأحس بالحاجة إلى المزيد من نواحي المعرفة الإنسانية، كما شعر بضرورة مزج الثقافتين العربية والغربية معاً؛ حتى يتولد من هذا التركيب عنصر جديد يوسع من أفق تفكيره ونظرته للحياة"، ولما كانت اللغة تحول بينه وبين مبتغاه، وجد طلبه في الترجمات فعكف عليها ولقح أفكاره بلقاح المعرفة الواسعة لمظاهر الحياة المتعددة الجوانب من فلسفة وسياسة وفنون وعلوم وآداب وبرزت فيه موهبته الفنية فتدفق شعره قوي الإحساس مفعماً بالمشاعر الإنسانية نحو الكون والحياة بما فيها ومن فيها، ولقد تأثر التيجاني بما كان يسود وطنه من جمود وتقهقر وما كان يحيط ببلاده من عوامل الضعف والتخلف، فسخط على عيشه وتشاءم من حياته تشاؤماً مبعثه حب الإصلاح، وأنتقد ما كان يراه من أحوال وما يحس به من ضعف وخضوع واستعباد، ومن ثم أودع أحاسيسه في شعره الذي يجيش ثورة واضطراباً على التقاليد والعادات الذميمة، ويفيض نقمة وبغضاً

(1) التيجاني يوسف بشير شاعراً وناثرا، هنري رياض، مرجع سابق، ص 19.

لدعاة الهزيمة والتفكك، ثم يتدفق بعد ذلك عذوبة ويتفجر إخلاصاً وحماساً أملاً في مستقبل أحسن وحياة أفضل لوطنه ومواطنيه ولأبناء عروبته الميامين"[1].

ملامح التيجاني:

كان ناحلاً،، أقرب إلى الطول على وجهه شيء من الشحوب يبعده عن الوسامة وهذا الشحوب يضفي عليه دائماً صفة الجاد وكان لصوته بحة محببة[2].

أما عن ملامح وجهه فوصفه أستاذه السحرتي فقال: له عينان مثبتتان بعمق، في وجهٍ مستطيل، ينم عن ابتعادهما بالذكاء والنبوغ يعلوهما حاجبان مستقيمان كثا الشعر، ينمان عن الرجولة والاستقامة الخُلقِية، ووجنتان عاليتان تنطقان بالإقدام والجراءة يحيطان بأنف أبي حذرٍ يدانيه فم حي حازم يتصل به ذقن عريض يكمن فيه العزم والإصرار والإرادة القوية، ومن التعبير العام لهذا الوجه يتجمع فيه الذكاء والنبوغ والعزم والتصميم والجرأة في أكثر من ملمح"[3].

كان أسمر اللون كلون سكان وسط السودان، كما كان يكثر المداومة على التفكير والتأمل، ويقضي الساعات الطوال على شاطئ النيل بأم درمان خاصة في الليالي المقمرة[4].

---

(1) مدارس الشعر العربي في العصر الحديث، تأليف صلاح الدين محمد عبدالتواب، دار الكتاب الحديث، حقوق الطبع محفوظة، 1425هـ – 2005م، ص 194.

(2) التيجاني يوسف بشير، شاعراً وناثراً، هنري رياض، مرجع سابق، ص 33.

(3) رسالة ماجستير، جاد الله الطاهر، مرجع سابق، ص 114.

(4) التيجاني يوسف بشير عصره وحياته وشعره، رسالة ماجستير، مرجع سابق، ص 19.

ثقافة التيجاني:

في تأثره بالفلسفة العلائية:

توالت النكبات على التيجاني وكان حزنه واضحاً مما جعله يلتمس عزاءه في البحث وقراءة من سبقوه من الشعراء فالتيجاني ذو ثقافة واسعة استهوته شخصية شاعر كان مصدر إلهامه ومواساته في آلامه التي تشابه آلام التيجاني، هو الشاعر أبو العلاء المعري أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوهي[1]. شاعر المعرّة وفيلسوفها ولقد تأثر به التيجاني في كثير من آرائه. ولعل نمط الحياة والظروف السياسية والحضارية والاجتماعية التي عاصرها هي التي استوقفت الشاعر كثيراً وانفرد بآرائه نسبة لتضارب حياتهما والنكبات التي مرت عليهما أما حياة التيجاني والمعري الشخصية تنحصر في دائرة الفقر واتهم كلاً منهما في دينه، بالإضافة إلى السجن الذي فرضاه على نفسيهما اعتزالاً للمجتمع[2].

كان شقاء المعري في عقله مصدر شقاء شاعرنا أيضاً، هذه القوة العقلية الساحرة سحر الجن والطاهرة أحياناً طهر الملائكة، يقول في قصيدة أنبياء الحقيقة:

ملك من بنى الضياء وجني ** سليل الظلام من أرض عبقر[3]

هو الذي يرى الخير ولكن لا يجد عليه سبيلاً ويرى الشر ولا يجد منه مخرجاً، كما قال عنه:

---

(1) الآثار النثرية الكاملة، مصطفى غالب أبو العلاء، دار الهلال، القاهرة، 1988م –ص 169

(2) مصطفى غالب أبو العلا– في سبيل موسوعة فلسفية – دار الهلال، 1988م، ص 50.

(3) إشراقة – التيجاني يوسف بشير – مصدر سابق – ص 14.

أآله في الأرض أنت أم الشيطان ** ينهي في العالمين ويأمر[1]

التيجاني أتهم في دينه ورموه بالكفر وهذا ما تجسده قصيدة المعهد العلمي فيقول:

حتى رميت ولست أول كوكب نفس الزمان عليه فضل شهابه

كفر ابن يوسف من شقي واعتدى وبغى ولست بعابئ أو آبه[2]

والتيجاني عندما يقول حتى رميت ولست أول كوكب، فإنه يقصد من سبقوه في هذه التهمة، فالتيجاني واثق بنفسه فهو لا يهتم بهذه التهمة لأنه مستمد همته من همة الفلاسفة موضحاً ذلك في قصيدة أنبياء الحقيقة:

ودماء من الحقيقة أجراها ومن صخرة المواهب فجر

ما بها تسام الأرض خسفاً أو تمادى في رأيها أو تكفر[3]

التيجاني يرى أن من الطبيعي أن تشن الحملات العدائية على أصحاب الفكر فهم إما أن يعذبوا في الأرض أو يتهموا بالكفر وهذا حظه من ضمن هؤلاء.

التيجاني آراؤه الفلسفية مبعثرة متناثرة وموزعة على قصائده في ديون (إشراقة) معبراً بها عن خواطر نفسه؛ لأن نفس الشاعر لا يدوم لها حال تصعد في نزعاتها من الأرض إلى السماء وتهبط من تأملاتها من السماء إلى الأرض، وتسبح تخيلاتها من عالم الطبيعة إلى ما وراء الطبيعة[4].

---

(1) التيجاني يوسف بشير الشاعر السوداني ، بدرالدين هاشم، مرجع سابق، ص 64.

(2) إشراقة – مرجع سابق، ص 18.

(3) لزوم ما يلزم، أبو العلاء المعري، دار بيروت للطباعة والنشر 1961م، مج1، ص 65.

(4) صالح عبدالقادر – حياته وشعره – تأليف عواطف عمر عبدالله، ، دار الجيل، بيروت،ط1، 1411هـ – 1999م، ص 17.

ونجد أن التيجاني كان ينتابه التردد والقلق، والتردد ما بين برد اليقين وجذوة الشك، وكانت عقيدته تتأرجح ما بين الشك واليقين وبخاصة في قصيدته "يؤلمني شكي". فيقول:

الله لي ولصـــــرح الدين من ريبٍ

مجنونة الرأي ثارت حـول معبودي

عن راوغتني في نسكي فكم ولجت

بي المخاطر في ديني وتوحيدي[1]

أما فلسفة التيجاني الخلقية تكاد تكون فلسفة قديمة ليس فيها أعوجاج ولا تناقض ولا اضطراب، وإنما مليئة بالتعاليم الخلقية الحكيمة والآداب الاجتماعية الرشيدة التي تظهر فيها إنسانية ورحمة وعطف[2].

التيجاني رجل أخلاقي لم نلتمس في شعره أي شيء مشين بل شعره شعر إنساني رحيم، ورغم سخطه وتبرمه بالحياة لم يكن شريراً لا سيئ الطبع ولا مائلاً إلى الطعن والسباب، كان محباً للخير لا تكاد ترى في ديوانه هجاءً أو سوء نية، أما ثورته ونقمته وتبرمه فقد كان دائماً منصباً على الحياة بوجه عام وعلى الناس بوجه عام لم يقصد به فرداً أو جماعة[3].

كتب التيجاني في مجلة الفجر التي صدرت في 1934/9/2م ثماني قصائد وخمس مقالات، أول ما كتب قصيدة (لوعة الغريب) بتاريخ 1934/8/10م وآخر ما كتب قصيدة في الموحي 1935/8/17م، وكان فيها إعلان قرب صدور إشراقة، فازدانت مجلة الفجر بكتابات الأديب التيجاني الذي

---

(1) ديوان إشراق مرجع سابق، ص 22.

(2) صالح عبدالقادر – حياته وشعره – تأليف عواطف عمر عبدالله، ، مرجع سابق، ص 23.

(3) شاعر الجمال، عبدالمجيد عابدين، مرجع سابق، ص 16-17.

حرر صفحات هذه المجلة وساهم بالعمل فيها ثم انقطع فجأة عن نشر كتاباته فيها بعد كثير مواظبة لأسباب لم تتضح[1].

منذ أيامه في المعهد بدأ التيجاني في قرض الشعر، وهو لم يزل في السنة الثالثة حيث كان على رأس جمعية الثقافة، التي كونها الطلاب، وخاصة أولئك الذين كانوا من أبناء العاصمة المثلثة ونشاطه، أتاح له فرصة في إنشاد محاولاته في الشعر في تلك الجمعية، وكان لذلك أثراً فعالاً في صقل ملكته الشعرية[2].

هذه الجمعية تعنى بإنشاد الشعر والنقد مما يستدعي المهارة الفائقة في الإنشاد والتمسك بأصول وفنون الشعر العربي الجديد.

أهم المكتبات التي كان لها أثر في إطلاع التيجاني مكتبة المعهد العلمي بأم درمان، ثم مكتبة أم درمان الثقافية لصاحبها عثمان بدري التي تأسست سنة 1934م، وأيضاً المكتبات التجارية مكتبة أبو الريش بالخرطوم، مكتبة البازار بالخرطوم وأم درمان، ومكتبة عكاشة بأم درمان، إضافة إلى مكتبات أصدقائه ومعارفه كأساتذته السابقين[3].

تعليمه:

دخل التيجاني الخلوة وهو في الخامسة من عمره وقضى فيها ست سنوات حفظ خلالها القرآن الكريم[4].

---

(1) لوحة في إطار، أحمد محمد البدوي، مرجع سابق، ص 61-62.

(2) المرجع نفسه، ص 22-28.

(3) التيجاني يوسف بشير عصره وحياته وشعره، جادالله الطاهر، مرجع سابق، ص 48.

(4) التيجاني يوسف بشير، أضواء على حياته وشعره، إبراهيم التكينه، مرجع سابق، ص 16.

ولقد بدأت بوادر الذكاء تتفتح عند شاعرنا منذ صغره كفتى متوقد الذكاء حاد التصور حفظ القرآن يافعاً[1].

وقد تركت الخلوة في نفسه ذكريات عالقة بذهنه، فسطر قصيدة باسم – الخلوة – صور فيها كيف كان يصحو مبكراً يتوضأ ويصلي الصبح ويتلو القرآن وهي مرحلة الاطمئنان الروحي[2].

هذه هي خلوة عمه الشيخ عبدالوهاب القاضي ولما كان للخلوة أثر واضح في نفسه سطر القصيدة التي صور فيها صوت الفكي – الشيخ – يروى مثل وصف الرعد، أو قصف الرياح، وبعد الخلوة التحق بالمعهد العلمي بأم درمان سنة 1927م وقضى فيه التيجاني خمس سنوات كاملة حيث نال الشهادة الأولية[3].

درس العلوم الأدبية فكان لها النصيب الأوفر من غيرها وهي: (الفقه – النحو – التوحيد – البلاغة والأدب) ولكنه لم يحظ بدراسة العلوم الحديثة مثل الرياضة – الجغرافيا – التاريخ – وعلوم الطبيعة – الكيمياء – الأحياء، لأن مقررات المعهد العلمي لم تتضمنها إلا في السنوات الأخيرة 1956م[4].

كان المعهد يضم مدرسين متخصصين في الفروع المختلفة في علوم الدين واللغة والبيان.

هذه العلوم التي درسها التيجاني في المعهد العلمي لم تكن كافية لتجعل تفكيره علمياً أو عصرياً، فانكب على دراسة الآداب ككثير من معاصريه، لأن

---

(1) التيجاني يوسف بشير، دراسة في تجربته الشعرية، بدرالدين هاشم، المطبوعات العربية للتأليف والترجمة، 1987م، ص 42.

(2) لوحة في إطار، أحمد محمد البدوي، مرجع سابق، ص 42.

(3) رسالة ماجستير، جادالله الطاهر النذير، مرجع سابق، ص 16.

(4) التيجاني يوسف بشير، هنري رياض، مرجع سابق، ص 22.

دراسة الأدب هي طريق الثقافة الوحيد، ولم يكن للتجاني نصيب في علوم الاقتصاد والسياسة والاجتماع[1].

كان التيجاني مولعاً بالقراءة والاطلاع في الفلسفة واللغة والأدب والدين، وأغلب الظن أنه كان يمعن النظر فيما يقرأ ويعرف كيف يتمثله ويستفيد منه ويديره في ذهنه يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة، ومن ثم اتسع أفق تفكيره، وتفتح ذهنه على حقائق تتعلق بالحياة والوجود[2].

أغراض شعر التيجاني يوسف بشير:

نجد أشعار التيجاني يوسف بشير متعددة تناول من خلالها موضوعات مختلفة، وفي شعره نظرات ضوئية وتأملات دينية. كما قال صلاح الدين محمد عبدالتواب: "وهو يسوق ذلك الشعر في لغة طبيعية وسعة نفسية وعقلية، وقد اتجه بشعره وجهة المجددين في العصر الحديث، ممتزجاً في شعرهم مثلهم مع مشاهد الكون ومعترك الحياة من حوله مستمداً موضوعاته من بيئته ومن مزاجه الهادي وطبعه اللين، متمشياً مع الفطرة السليمة التي لا تعوقها تعقيدات الفكر ولا تعقيدات اللفظ، ويتجه التيجاني بشعره نحو الصوفية الحزينة، أو المعذبة، أو المحرومة، في حواشي هذه الروحانية الصافية المؤمنة تظهر لواعج شكواه ولواذع آلامه النفسية تظل جوانبها المنيرة فتبدو قاتمة كأنها النور المحاط بنقاب من الضباب أو عارض من السحاب، وتبدو صورة نفسه – المتصوفة – أو المحرومة – في مثل قصيدته الصوفي المعذب:

هذه الذرة كم تحمـــــل في العـالم سرا

قف لديها وامتزج في ذاتها عمقاً وغورا

---

(1) التيجاني يوسف بشير عصره وحياته وشعره، جادالله الطاهر النزير،مرجع سابق، ص 75.

(2) التيجاني شاعر الجمال، عبدالمجيد عابدين، ط3، 1962م، ص 8.

وانطلق في جوها المملوء إيماناً وبرا

وتنقلبين كبرى في الذراري و صُغــرى

ثم لم يلبث حتى تتلاقى روحانيته الصافية المؤمنة التي تؤمل في نعيم الله، مع إحساسه بالحرمان الذي مُني به في هذه الحياة"[1].

نحس أن التيجاني أراد أن يقدم للملأ شاهداً على اقتداره وتفوقه، يتفق مع المناسبة، ويتمشى مع مزاج أهل العصر، ومهما يكن فإن شاعرنا لم ينس هذا الإحساس المسيطر في قصائده التي نبذ بها إلى المجتمع، فسّر عنه من طريق مباشر حيناً وغير مباشراً حيناً آخر وهو في هذا وذاك إنما يكافح إحساسه بالضياع، ويقاوم هذا الشبح الذي يفزعه ويقض مضجعه، ويحاول الفكاك من أسره بكل سبيل، وشارك المجتمع في تكريم بنيه كما شاركه في أحزانه ومآسيه، وإن كان لم ينس في خلال هذه المجاملة وتلك المهادنة أن يصور هذا الصراع بين شعوره بالتفوق وشعوره بالضياع، ولا سبيل إلى إنكار أن التيجاني في عمره القصير، قد عاني كثيراً من الإخفاق، لم يسلم من ألسنة الذين حوله، ولم يسلم ممن كانوا لا يخلصونه المودة، فهو لم يملك من وفاء الصديق وخلوص المودة شيئاً يعتز به أو يتعزى به، إلا في القليل النادر، وكان شاعرنا فوق هذا كله فقيراً، وأنه يملك شيئاً واحداً، فيه عزاؤه، وبه اعتزازه، هو نفسه الطموحة وإحساسه بفردية متميزة"[2].

---

(1) انظر: كتاب مدارس الشعر العربي في العصر الحديث، مرجع سابق، الصفحات 196-197- 198.

(2) دراسات في شعر التيجاني – قدمت بمناسبة المهرجان الذي أقيم للشاعر لمرور خمسة وعشرين عاماً على وفاته، دار الطباعة الإفريقية ليمتد، ط1، 1382هـ = 1962م، ص 127-131.

ومن أغراض شعر التيجاني قوله في الغزل في قصيدته كنائس ومساجد:

درج الحسن في مواكب عيسى مدرج الحب في مساجد أحمد

ونمت مريم الجمال وديعاً مشرقاً كالصباح أحور أغيد

نسلت موجة إلى الدير في حـ ـين مشى فرقد على إثر فرقد

آه لو تعلم المساجد كم ذا أجهدت بينها الصبابة أمرد

آه لو تعلم المساجد كم ذا خفقت بينها جوانح أدرد

ولقد تعلم الكنائس كم أنف مدل بها وخد مورد

ولقد تعلم الكنائس كم جفـ ـن منضى وكم جمال منضد[1]

وقال الشاعر التيجاني يوسف بشير في الفخر قصيدته ثورة:

قف بنا نملأ البلاد حماسا ونقوض من ركنها المرجحن

هي للنازحين مورد جود وهي للآهلين مبعث ضن

يستدر الأجانب الخير منها والثراء العريض في غير من[2]

وفي الرثاء رثى أخته الزهراء فقال في قصيدة بعنوان دمعة على طفل:

وأسأل عن الزهراء أن تكن واجداً خبراً لها بين الندى الزاخر

أختي وأول زهرة زانت بها أم العلا جبين أصيد زاهر[3]

(1) ديوان إشراقة، التيجاني يوسف بشير، ط6، 1972، دار الثقافة بيروت، ص 57.

(2) المرجع السابق، ص 66.

(3) المرجع السابق، ص 92.

أسباب الحزن في شعر التيجاني:

1/ فصل التيجاني من المعهد العلمي:

كان تفوق التيجاني وبروزه ونشاطه وعلاقاته الواسعة مع أساتذته وأقرانه قد جلبت له أصدقاء وأعداء، فكان المعهد آية شهرته وقضى فيه أجمل أيامه، كما كان قاسياً عليه حين تم فصله منه[1].

هنالك خلاف حول فصل التيجاني من المعهد العلمي أو تركه من تلقاء نفسه، فبعض المراجع ذكرت فصله من المعهد لأسباب كثيرة ومختلفة وهي الرواية الأولى[2] "إن إمام المسجد محمد الحسن عبدالمنعم والملقب بالخليفة عبدالرحمن رأى التيجاني منهمكاً في قراءة ديوان الشوقيات في نهار رمضان كأنما يتلو آيات بينات، فقال له: لو قرأت شيئاً من القرآن فإنه أفضل عند الله من هذا الشعر وربما بدأ هذا الرأي استفزازياً أثار التيجاني، فانفعل وقال: "إن شعر شوقي أفضل من القرآن أو رد على سؤال استفزازي أهو أفضل من القرآن وارتقى الكلام إلى أعتاب المشيخة"[3].

العبارة التي زعم الخليفة عبدالرحمن أن التيجاني قالها بالنص لا يمكن لأي إنسان مسلم أن يتفوه بها لأن القرآن أقدس من أن يقارن بأي قول وبخاصة التيجاني ربيب الأسرة الدينية والمعهد العلمي.

مهما يكن من كل الروايات التي لا تحدد لنا ما قاله التيجاني تحديداً دقيقاً يؤدي إلى الكفر والشك وعلى الرغم من أن التيجاني قد نشأ في منزل وأسرة دينية وتعليمه ديني والمعهد العلمي كافٍ لدفع تهمة الشك عنه ولكن جو

---

(1) ديوان إشراقة، التيجاني يوسف بشير، مرجع سابق نفسه، ص 30.

(2) انظر: [في صفحة 86 أجزاء عن ثقافته مكملة].

(3) لوحة وإطار التيجاني يوسف بشير – أحمد محمد البدوي، الخرطوم – دار الكتب، 1980م، ص 25.

التزمت الذي يسود في المعهد كان سبباً في الموقف، كما أن الاختلاف حول الفصل وترك التيجاني للمعهد كان سبباً لإثبات هذا الشك والكفر به.

فقال التيجاني:

فأعيذ ناشئة التقى أن يرجفوا بفتى يمت إليه من أحسابه

إن تكفيره بهتان صنعه زملاء له فقال عنهم في ذات القصيدة:

قالوا وأرجفت النفوس وأوجفت هلعاً وهاج وماج قسور غابه

كفر ابن يوسف من شقي واعتدى وبغى ولست بعابئ أو آبه

قالوا أحرقوه بل أصلبوه بل انسفوا للريح ناجس عظمه وإهابه

ولو أن فوق الموت من متلمس للمرء مد إليّ من أسبابه[1]

إن شيخ المعهد هاج وماج كأنه أسد الغابة من هول ما سمع مما قاله التيجاني واتهموه بالكفر والبغي بما قالوه ثم لم يكتفوا بالقول؛ بل أصدورا حكماً هو القتل والصلب والحرق ونسف الجسد النجس للريح لتأخذه بعيداً عن هذا المكان الطاهر ولو كان في هذه الدنياً حكماً أقسى من هذا لأتوا به ليثأروا لهذا الدين[2].

ومن الواضح في شعر التيجاني لو في هذه الدنيا حكماً أقسى لأتوا به ليثأروا لهذا الدين ثم تألم الشاعر كثيراً لهذا الموقف وترك في نفسه حزناً أعمق لفراق المعهد، وقصيدة المعهد على الرغم من أنها تصور الحادثة تصويراً حياً، فإن شيئاً ما يبرز لنا من خلال كلماتها، يحمل في ثناياه روح التمرد الظاهرة على ملامح الشاعر مما يجعلنا نستشف بوضوح هذه الهزة العنيفة التي اجتاحته وهو يواجه تهمة الكفر، ثم وهو يصور الحملة الجائرة التي واجهها من أساتذته

(1) الأبيات من ديوان إشراقة التيجاني يوسف بشير ، نقلاً عن: أحمد محمد البدوي، مرجع سابق، ص 26.

(2) إشراقة، التيجاني يوسف بشير، ديوان شعر، دار الجيل بيروت، 1972م، ص 177.

قالوا أحرقوه بل أصلبوه، ولو أن فوق الموت قالوا وأرجفت النفوس وأوجفت هلعاً، ووسط كل هذه الانفجارات تبدأ حركة التمرد والمواجهة من جانب الشاعر– لست بعابئ أو آبه[1].

ووسط هذا الجو – المعهد العلمي – الموغل في المحافظة وفي التزمت ولا يتساهل في الصغائر واللمم ويرهق الطالب بسلوك متزمت، لا يقرأ مجلة أو جريدة ولا يغشى مقهى، ولا يلتفت في الطريق ولا يطيل النظر إلى السابله، ولهذا ذاع خبر الكفر ووجد داخل المعهد من يؤجج ناره، ومن بين أولئك أعداء أحسنوا استغلال الحادثة، وأصدروا قراراً يدينه بالكفر وروجوا له ولقي الشاعر نفسه محاطاً بلهب حرب نفسية عنيفة[2].

إن التيجاني لم يفصل من المعهد وإنما ترك المعهد من تلقاء نفسه، وربما على إثر التحقيق الذي أجراه معه شيخ العلماء، واستدلالاً على هذا يقول الشاعر محمد عبدالقادر كرف وهو زميل التيجاني وصديقه وجاره وقول الشيخ حامد الأمين وآخرين: "والذي حصل هو إشاعة الفصل وراجت حتى أعتبرها البعض حقيقة، خاصة عندما لم يأت التيجاني للمعهد بعدها ولم يجلس لامتحان النقل للسنة السادسة"[3].

وأيضاً هنالك رأي آخر يدعم هذا الرأي بان التيجاني لم يفصل نهائياً بل إنه ترك معهده وهناك من يقول أن شيخ المعهد لم يفصل التيجاني نهائياً من المعهد وإنما فصله لمهلة حتى يهدأ الجو ويمكن له بعدها أن يمارس دراسته،

---

(1) التيجاني يوسف بشير الشاعر السوداني، دراسة نقدية، تجربته الشعرية، بدرالدين هاشم – مرجع سابق، ص47.

(2) أحمد البدوي، مرجع سابق، ص 29.

(3) رسالة ماجستير – التيجاني يوسف بشير ناثراً – مرجع سابق، حليمة البشير يوسف، إشراف د. هاشم ميرغني الحاج، 1429هـ – 2008م.

وواصل قراءته وإطلاعه في عزلته التي فرضها على نفسه وخير دليل على ذلك قصيدة المعهد العلمي[1].

يقول في قصيدة ثورة:

يفرح الطين في يدي فألهو جاهداً وأهدم الحياة وأبني

كم أشيد الحصا قصوراً و كم أكبر من شأنها وأقدر شأني[2]

يصور الشاعر هذه الطفولة في هذه القصيدة – ثورة – وكيف قضى الشاعر طفولته التي ما زالت بذهنه عالقة، كيف كان يبني الحياة ويهدمها ويبني قصوراً فخمة توحي وتصور له مستقبله ثم يحن إلى وطنه في الصبا وهو يصنع الدمى والتماثيل ويعدها أصحابه بل من بينها عروسه ثم يقول له أبوه ما تصنع يداك إن لم تكن ألاعيب جن؟ ويجيب الشاعر إنها تصاوير تحلق في دنياي أو تتراءى لكوني[3].

2/ المرض وحرمانه من السفر والتشاؤم:

نجد أن الحزن في شعر التيجاني كان واضحاً وخاصة في فترة مرضه، عاش التيجاني خمسة وعشرين عاماً حتى أدركته المنية وهو في عنفوان الشباب وقوته نتيجة لمرض السل، الذي قضى على كامل رئتيه دون أن يتغلب عليه بالغذاء الجيد أو العلاج ومن أين له بذلك؟ حيث كان الفقر المدقع لا يسمح له بإشباع حاجاته الضرورية، أو الاستمتاع بأوقات فراغه، أو الخلود للراحة.

وعندما أشتد عليه المرض خلال السنوات الأخيرة من حياته، ضاقت نفسه ذرعاً، وأبتعد عن معظم أصحابه وأصدقائه، كما نفر من الجلوس مع

---

(1) رسالة ماجستير – التيجاني يوسف بشير ناثراً، المرجع السابق نفسه.

(2) ديوان إشراقة – التيجاني يوسف بشير، مصدر سابق، ص 66.

(3) رسالة ماجستير – التيجاني يوسف بشير ناثراً – المرجع السابق، ص 51.

الناس وأحياناً كان يطلب من والده الابتعاد عنه حتى لا يعديه بالمرض، ولما كان العلاج مستعصياً، في ذلك الزمان وكان هو قاب قوسين أو أدنى من الموت سطر قصيدة للذكرى فقال:

يا أنيس الحياة يقطر منك الطيب نبلاً وتعبق الأخلاق

نفسك الحــلوة الحبيبة للنفس عليها من السنا أنماق

يعتري الكمال والخير فيها فيضــيئان ما ترى الأماق[1]

كأنما يرثي التيجاني نفسه قبيل وفاته، حيث أصبح هيكلاً عظمياً من شدة المرض الذي أمتص دمه وغارت عيناه، وارتجفت أوصاله وأيقن بقرب أجله انقطع عنه أصحابه الذين خرجوا بحمد الله سالمين من هذا المرض، هذه القصيدة نالت إعجاب محمد فهمي فقال عنها: "نفثة حارة من نفثات الشاعر وهي أسمى ما قرأت من الشعر في روحها وفي معانيها وفي ما تحمل من أسى وشجن ومن دموع وآلام، كما أنها انبعثت من قلب ممزق قد نال منه تنكر الصديق ومجافاة وقسوة المرض والأذى المتكالب وما لقي في العالم من عذاب وإخفاق فخرجت صادقة مخلصة، وهي قصيدة متفجرة من نفس تشعر بأنها في كل ساعة يعدو عليها الاضمحلال"[2].

وفي فترة المرض الحرجة لازمه زميله محمد عبدالقادر كرف والتيجاني الماحي الذي نقله إلى مستشفى النهر ورعاه صحياً ومعنوياً وحاول أن يمنعه من الكتابة والقراءة، وفي أيامه الأخيرة لاذ يكتب أوراقه، وأقبل على الصلاة وتلاوة القرآن، كانت عنده رغبة في تحدي الموت باستشراف الخلود – لن تعرفوا

(1) ديوان إشراقة، مرجع سابق، ص 110.

(2) التيجاني يوسف بشير شاعراً وناثراً، هنري رياض، مرجع سابق،ص 37.

قيمة كتاباتي إلا بعد موتي – كما أنه ألح كثيراً على أن ينعزل، وعندما اشتد على التيجاني المرض شاع خبر وفاته قبل ثلاثة أشهر قبل تاريخ وفاته[1].

نجد أن التيجاني عاش خمسة وعشرين عاماً واختطفته يد المنون في ريعان الشباب عام 1937م، بعد أن أنهكه الداء الوبيل الذي طغى على رئتيه، دون أن يستطيع التغلب عليه، وأنى له ذلك، والفقر المدقع لا يسمح له بإشباع حاجاته الضرورية أو الاستمتاع بأوقات فراغه، أو الخلود للراحة، ولربما ساعد على تدهور صحته وتشاؤمه وعصبيته وضيق خلقه في آخر عمره. عانى المرض خلال سنتين أو ثلاث سنوات، وإنه ضاق ذرعاً به، حتى أنه ابتعد عن معظم أصحابه وأصدقائه، كما نفر من الجلوس مع الناس، بل ذهب إلى أبعد من ذلك أحياناً، إذ كان يأمر والده أعز الناس لديه بالابتعاد عنه، حتى استشعر بقسوته في مواجهته، إن التيجاني المسكين كان ينوء تحت أثقال الداء، الذي مزق صدره، وحطم أمانيه إذ كان داء الصدر وقتئذٍ فتاكاً، بل داء عضال، والشائع ألا برء منه، وعلاجه بالسودان مستعصٍ، أحس التيجاني بأن الداء قد اختزل جسمه اختزالاً، بل شوى عظامه في حرقة بالغة، وامتص دمائه، حتى ضعف عوده، وأصبح هيكلاً عظمياً لا يستطيع فكاكاً أو حراكاً، وغارت عيناه ورجفت أوصاله، وأستبد به الهم، كان التيجاني ذا حساسية بالغة، وقد زاده المرض إحساساً بقيمة الصحة والعافية، وترسبت في نفسه جرائه آلام دفينة عميقة، لقد كان المرض أحد الأسباب التي جعلت طعم الحياة مراً في نظر التيجاني، وكان من بين الأسباب أيضاً فصله من المعهد، ولكن لعل السبب

(1) لوحة في إطار، أحمد محمد البدوي، مرجع سابق، ص 15–16.

الرئيس لبؤسه هو ما كان يعانيه من الفقر وانخفاض مستوى المعيشة في بلادنا"[1].

و كانت هناك أسباب أخرى منها حرمانه من السفر إلى مصر بواسطة والده، للعلات من مرض السل، الذي ألم به، وذلك لحالة الفقر التي كان يعيشها، لذلك سيطرت عليه النظرة المتشائمة حيال الغد وأنه مولع بالتجسيم لدرجة الغموض والتعقيد فقد كتب عبدالمجيد عابدين دراسة مفصلة – لإشراقة – جلى فيها حياة التيجاني من شعره كانت فاتحة للدراسات الجادة التي تناولت هذا الديوان النفيس وكتب الشاعر الناقد محمد محمد علي فصولاً عن الغموض في شعر التيجاني في كتابه القيم: (محاولات في النقد) أثارت كثيراً من الجدل في أوساط الأدباء السودانيين وأتاحت للديون فرصة جديدة من فرص الحياة والذيوع[2].

ونجد أن التيجاني قد رد إلى الشعر السوداني كرامته، وفي حزنه يتعرف شعبنا على عبقريته وفي عذابه تتعرف بلادنا على عذابها، وفي سلبيته وتشاؤمه وفرديته نتعرف على كثير من قضايا بلادنا منذ أيامه حتى يومنا هذا. كما قيل عنه في محاضرة بنادي أم درمان الثقافي: "ونحن حيث نلتمس التيجاني في شعره، نجد شاعراً استلهم الأدب القديم، وكان قيثارة الجديد، كلمات مفاجئة وتعبيرات مدهشة، وابتكار في اللغة غير مألوف، وصدق فني وشعوري، وقسمات سودانية ومع ذلك فهو شعر سما إلى صعيد الإعجاز في المستوى العربي، شاعر رد إلى الشعر السوداني كرامته، وكان ديوانه هو أول صرخات

---

(1) التيجاني يوسف بشير شاعراً وناثراً، هنري رياض، مرجع سابق، ص 35 – 37.

(2) دراسات في شعر التيجاني، قدمت بمناسبة المهرجان الذي أقيم للشاعر لمرور خمسة وعشرين عاماً على وفاته، دار الطباعة الإفريقية ليمتد، إحدى فروع دار الصحافة، ط1، 1382هـ – 1962م، ص 18 –22.

هذا الشعر وأولى لبنات تقاليده، حتى المآخذ التي رصدت في شعره هي بنت رغبته الصادقة في رفع هذا الشعر إلى المستوى اللائق به، المستوى الذي كان خياله، وما يسمى بالغموض في شعره لم يفسر بكونه معاني قصرت كلماته عنها، لتقصير أداة الشاعر بقدر ما هو وضع شاعر يملك جناحين ولا يستطيع الطيران لسبب أو آخر، وإلى الشاعر يوم ذكراه تحايا بني قومه وامتنانهم العميق"[1].

وقصيدته ملاحن فيها الهوى والألم جاءت القصيدة عاصفة زعزعت الحكم الاستعماري الإنجليزي، بقدر ما ذاعت وشاعت بين الناس فاستدعى الشاعر وقدم له النصح في طبق التهديد والوعيد، وكتب التيجاني هذه القصيدة وهي أحب قصائده إلى نفسه وأهداها إلى أستاذه:

وداعاً هزار الربى والألم أريش الجناح وسيق القدم

وأختتمها بهذا الغناء الحزين:

ولما اعتزمت لمصر الذهاب وأن لرأيك أن يحزم

جنحت إلى مزهري فانتزعت ملاحن فيها الهوى والألم

شددت بكفيك أو تارها وأودعت فيها شجيَّ النغم[2]

ثم توشج اتصالهما بخطابات متلاحقة[3].

---

(1) دراسات في شعر التيجاني – ألقيت بنادي أم درمان الثقافي في يوم 1962/10/7م دار الطباعة الإفريقية ليمتد إحدى فروع دار الصحافة، ط1، 1382هـ – 1962م. حقوق الطبع محفوظة لجماعة الأدب السوداني، ص 60.

(2) ديوان إشراقة – التيجاني يوسف بشير، مصدر سابق، ص 79.

(3) لوحة وإطار، التيجاني يوسف بشير – أحمد البدوي – الخرطوم، دار الكتب 1980م، الصفحات 52– 53 – 54.

المبحث الثاني

الحزن عند إدريس جماع

اسمه:

يتسلسل اسمه حتى يصل لأسماء وشخصيات صنعت تاريخ السودان فهو إدريس بن الشيخ محمد بن الشيخ ناصر بن الشيخ الأمين بن الشيخ مسمسار بن الشيخ عبدالشيخ بن الشيخ عجيب المانجلك بن الشيخ عبدالله جماع[1].

نلاحظ تكرار كلمة الشيخ قبل كل اسم مما يدل على مكانة اجتماعية مرموقة لكل أفراد الأسرة.

مولده:

لقد أثرت حياة جماع ومراحل حياته في ملامح شخصيته ومكوناتها كما أثرت في إبداعه الشعري لذلك سوف اتتبع مراحل حياته منذ مولده، ولد جماع بحلفاية الملوك عاصمة العبدلاب عام 1922م وهو ينتمي لهذه القبيلة متحدراً من أحد الأسر العريقة التي أسست مملكة الفونج[2].

صفاته الجسدية:

مظهره الخارجي مظهر السوداني الأصيل ذلك الشكل المعروف بمجرد رؤيته تدرك الجنسية، طويل القامة نحيل الجسم، عسلي العينين، أسمر البشرة، شاخص البصر عند المشي[3].

---

(1) مقابلة شخصية بين الطالب حبيب الله محمد سليمان آدم وأحمد محمد جماع، الموافق 2010/9/14م، رسالة ماجستير بعنوان شعر الطبيعة في ديوان "لحظات باقية" لإدريس جماع، إشراف د. آسيا محمد وداعة الله.

(2) حلفاية الملوك التاريخ والبشر – قاسم عون الشريف – دار جامعة أم درمان الإسلامية للطباعة والنشر، ط1، 1988م، ص 147.

(3) رسالة ماجستير في الأدب والنقد، إعداد الطالبة مارلين عوض الله الحسن، إشراف الدكتور/ بشير عباس بشير، أم درمان الإسلامية، 1997م، ص 26.

أسرته:

تتكون أسرته من ثلاث أسر حيث بدأها والده بأم أخوته التي كانت وما زالت في قرية تدعى عد الشيخ جماع وأنجب منها أحمد والشيخ والأمين وآمنة، وبعدها تزوج من والدة إدريس فأنجبته وبعده شقيقاته بتول وفاطمة وآسيا ثم توفيت والدة إدريس فتزوج والده من الحاجة زينب فأنجب إخوته أم سلمة وثريا زوجة الشاعر محمد محمد علي، وعمر، وعابدين وعبدالحميد[1]. وجميعهم في حلفاية الملوك يكونون أسرة يلمع أسمهافي سماء الحلفاية لمعاناً وشهرة منهم الطبيب والمعلم وربة المنزل الناجحة وكون كل منهم أسرة صغيرة تحت مظلة محمد جماع تتضح عليهم سمات الفن والعلم عن بكرة أبيهم ويغلب عليهم التدين والانضباط في كل شيء، ويقول عن نشأته محمد محمد علي: "نشأ في بداية حياته في أسرة فاضلة يسود أفرادها الحب وضرب التصوف والتطلع إلى المجهول والإحساس بقرب الرحيل وتراه ساهماً وفجأة يخرج عن شروده ويسأل عن أشياء لا تهم الأطفال ولا تشغل بالهم وكان منذ نشأته الأولى يحب السلام ويعشق الجمال بعيداً عن مشاحنات الأطفال بعيداً عن القسوة التي قل أن يبرأ منها طفل"[2].

نشأة جماع و ثقافته:

عند الحديث عن نشأة جماع فقد ألحق جماع بخلوة الفقيه محمد نور إبراهيم، حفيد الشيخ محمد ود ضيف الله، صاحب الطبقات الشهيرة، وفيها حفظ جماع القرآن وتلقى بعض العلوم الدينية والتربوية، وبهذا أسهمت الخلوة في

(1) مقابلة شخصية بين الطالب حبيب الله محمد سليمان آدم وأحمد محمد جماع، المقابلة نفسها.

(2) مقالات في النقد الأدبي – محمد محمد علي – ومحاولات في النقد – المجلس القومي للفنون – 1951م، ص 43.

تمكينه من اللغة، وأساليبها الجمالية. وسلاسة موسيقاها الفنية، فنضجت عبقريته صبياً، وقرض الشعر وهو ما يزال صبياً، ثم ألحق جمّاع بمدرسة حلفاية الملوك الأولية 1936م، ثم مدرسة أم درمان الوسطى، ليلتحق بعدها بمعهد التربية ببخت الرضا، وهناك تفجرت مواهبه الفنية من رسمٍ وشعر، ولمع نجمه وذاع صيته كشاعر موهوب، بل كان شاعر المناسبات بالمعهد الذي تخرج منه معلماً عام 1941م، كانت وظيفة المعلم وظيفة مقدرة اجتماعياً، ولكن يبدو أنها لم ترضِى طموح جماع فاستقال، وسافر إلى مصر حيث التحق بمعهد الزيتونة بالصف الثاني، ويدل قبوله بالصف الثاني بالمعهد في مصر على إعداد مسبق، ودراية به، وقد صحب هذا القبول ضوضاء بالمعهد لعدم حصول جماع على الشهادة الثانوية رغم نجاحه في امتحان المسابقة التي يشترط النجاح فيها للقبول بالمعهد، أكمل جماع دراسته عام 1951م، حاصلاً على ليسانس في اللغة العربية، وآدابها والدراسات الإسلامية، ثم نال شهادة الدبلوم من معهد المعلمين، ليعود إلى السودان عام 1952م، ليعمل معلماً بالمرحلة المتوسطة، ثم الأولية لظروفه الصحية، ذهب بعض النقاد مذاهب شتى في ظاهرة نقل جماع من عمل لآخر كقولهم: "إنه لا يروق لجماع تكالب زملائه على الوظائف، ويرى ما يكشف عن عمق القلق والسأم والألم الذي يعانيه جماع، ولعله عرض مبكر من أعراض مرضه[1].

حياته العلمية:

سار إدريس جماع في طريق التعليم الديني كعادة أهل منطقته في ذلك الزمان، وحينما أريد له التحول إلى التعليم المدني أدخل إلى مدرسة أم درمان

(1) إدريس محمد جماع حياته وشعره – محمد حجاز مدثر، الشاعر السوداني، الخرطوم، الدار السودانية للكتب، 1984م، ط1، ص 9.

الوسطى عام 1934م، ولكنه لم يمكث فيها سوى شهرين لعجزه عن تسديد الرسوم[1].

وفي هذا تقول أخته ثريا محمد جماع: "إن سبب ذهول جماع ومرضه وفيما يبدو لي هو فقده لوالدته التي كان يحبها حباً شديداً وكان شديد التعلق بها، وأيضاً تركه لقاعات الدراسة لضيق ذات اليد مع حبه الشديد وشغفه للعلم"[2].

عاش جماع في ذهول وشرود حيث كان تائهاً بشعره الأشعث متجولاً في شوارع الخرطوم لا يحدث أحداً، متسارعاً في خطاه كأنما يبحث عن شيء ضائع، وفي ذلك الزمان في سنوات الستينات من القرن الماضي كتب العديد من الأدباء، والشعراء، مطالبين حكومة الرئيس عبود بأن ترسل جماعاً للعلاج في الخارج وأرسل جماع إلى لبنان[3].

تقول آسيا محمد جماع: "قضى جماع في مستشفى بيروت العصفورة عدة شهور بصحبة الحاجة زينب وأخيه عبدالحميد ورجع إلى السودان سليماً معافى"[4].

عاش جماع فترة سليماً معافى لكن سرعان ما ساءت حالته الصحية، فسافر مرة أخرى ولكن هذه المرة إلى القاهرة، لمستشفى السرايا الصفراء، هذا

---

(1) إدريس محمد جماع حياته وشعره – محمد حجاز مدثر، المرجع السابق ، ص 43.

(2) المرجع نفسه، ونفس الصفحة.

(3) السودان والحركة الأدبية – حلم اليازجي – دار بيروت للطباعة والنشر، ج2، ط3، 1985م، ص 112-119.

(4) رسالة ماجستير بعنوان: شعر الطبيعة في ديوان لحظات باقية لإدريس جماع، إعداد الطالب: حبيب محمد سليمان آدم، إشراف الدكتورة: آسيا محمد وداعة الله، نوفمبر 2011م، مقابلة شخصية بين الطالب حبيب الله محمد سليمان وآسيا محمد جماع.

المكان الذي يسمح لزواره بالزيارة إلا بعد التخلي عن العقل خارج البوابة الرئيسية، وربما سبب سوء حالة جماع كما قال عبده بدوي: "ترجع إلى عدم احتماله الحياة وتقلباتها وآلامها وما فيها من تجاوزات وتناقضات لذا فقد أسلم نفسه إلى عالم الجنون والخيال"[1].

يقول صديقه الأديب والكاتب عبده بدوي: في كتابه (الشعر الحديث في السودان) إدريس جماع شاعر مرهف أصيب بجنون الحساسية المفرطة، إن إدريس كان أستاذاً للغة العربية وكنا نعرف مدى حساسيته حيث كان يشاكسه التلاميذ أثناء تناوله وجبة الإفطار فيبادرونه بالسلام، السلام عليكم يا أستاذ، فيرد المسكين واضعاً يديه على صدره راداً عليهم السلام فيتسخ ثوبه، وهكذا يتردد المشهد كل يوم"[2].

وصف جماع مرضه وسجله في لحظة من لحظات حياته شعراً في قصيدة من وراء القضبان حيث يقول:

حياة لا حـــــياة بها ولكـن بقية جـــذوة وحطـــام عمر

خطوب لو جهرت بها لضاقت بها صور البيان وضاق شعري

كان جماع يعلم تماماً ما سيحدث له منذ البداية وأحس كذلك بتغيره فيقول في ذلك:

تطالعني العيون ولا تراني فشخص غيرته سنين أسر[3]

كما توقع كذلك أن تأتي الأجيال وسيبقى مجال حديث للأجيال القادمة فيقول في ذلك:

---

(1) الشعر الحديث في السودان – بدوي عبده بدوي – دار النشر – القاهرة، ط8، 1978م، ص 138.

(2) المرجع السابق، ص 38.

(3) لحظات باقية، إدريس محمد جماع، ص 86.

كأني اسمع الأجيال بعدي وفي حنقٍ تردد هول أمري[1]

هواياته:

كان جماع يهوي الرياضة وهو من مؤسسي نادي حلفاية الملوك الرياضي، بجانب حبه للشطرنج، والسلة والرسم[2].

أثر مدرسة المهجر في شعر جماع:

تأثر إدريس جماع بالشعراء المهجريين وتبين بصماتهم في شعره فكثير من صفاتهم تتجلى في شعره بوضوح فشعره في القلق والإشفاق والحنين نرى عليه ظلالاً مهجرية ويمكن أن نرى جانباً من نظرتهم للحياة في شعره الإنساني وفي قصائده: "أمنا الأرض" و"نومة الراعي"[3].

واتفق مع القائل أعلاه في القصيدة الأولى حيث تتضح فيها السمات المهجرية وهي جعل الشمس كائناً يعلم البشر كيفية السير وذلك في قوله:

هي في سيرها تعلمنا السير في مضاء

عمرها خبرةٌ وتجربةٌ ما لها عفـــــاء

لو أصخنا لنصحها وتعاليمها الوضاءُ

لمزجنا نفوسنا بسنى الحب والإخاء[4]

أما في قصيدة نومة الراعي والتي يصور فيها الشخص المجهول من قبل البشر وكيف يقضي نهاره فيقول:

في مرقد طافت به الأحلام مُشرقةُ الصور

---

(1) لحظات باقية، إدريس محمد جماع، المرجع السابق، 87.

(2) جماع قيثارة الإنسانية والنبوغ، محمد حجاز مدثر، مرجع سابق، ص 46.

(3) الشعر الحديث في السودان، بدوي عبده بدوي، القاهرة، ط1، 1978م.

(4) لحظات باقية ص 103.

للنوم أسلمت رأسك مطمئناً للقدر
سال الشعاع من على جبينك وانحدر
وغرقت في نسم تعود حمل أنفاس الزهر[1]

وأهم ما يميز شعر جماع هو إحساسه الدافق بالإنسانية وشعوره بالناس من حوله واهتمامه بقضايا بلاده ولاسيما السياسية، كما امتاز ببعده عن الصراع الحزبي فقد عرف بانطوائيته وبعده عن المعارك الشخصية، كما يمكنك التعرف عليه وعلى الظروف المحيطة به خلال قصائده التي نظمها[2].

ونجد أن من أسباب الحزن عند جماع هي تركه للمدرسة بعد فترة وجيزة لذا يرى بعض من تناولوا حياة الشاعر ومنهم عبدالقادر الشيخ إدريس أبو هالة يقول: "إن ضيق ذات اليد حال دون مسيرته إلى مرحلة أخرى، مع استعداده الفطري لمتابعة المسيرة التعليمية"[3].

وهو الأمر الذي تنفيه بشدة أسرة الشاعر لمكانتها الاجتماعية المرموقة ويقول أخو الشاعر زين العابدين محمد جماع: "لم تعقه المصروفات عن مواصلة تعليمه، فبيتنا هو بيت المانجل الذي يمتلك أرضاً وضياعاً شرقاً وغرباً، وما زلنا ننهل من ميراث والدنا عليه رحمة الله"[4].

ومهما يكن من أمر فإن الشاعر التحق بكلية المعلمين ببخت الرضا سنة 1936م، وتخرج منها وعين مدرساً بمدرسة تنقسي الجزيرة سنة 1941م، ثم نقل

---

(1) لحظات باقية، ص 99.

(2) الشعر الحديث في السودان، عبده بدوي عبده، مرجع سابق، ط 1978م.

(3) إدريس محمد جماع، حياته وشعره، أبو هالة، عبدالقادر أبو هالة، مرجع سابق، ص9.

(4) رسالة ماجستير بعنوان: بناء الجملة وأثره الدلالي في شعر إدريس جماع، إعداد/ الحبر عبدالوهاب أحمد علي، إشراف د. محمد علي أحمد، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، مقابلة شخصية، 1436هـ – 2015م

إلى الخرطوم الابتدائية، الكتاب، سابقاً، ثم إلى حلفاية الملوك، الكتاب سنة 1944م[1].

نجد أن الشاعر تفتقت شاعريته في الثاني الابتدائي بمعهد التربية ببخت الرضا وهو لم يتعد الثانية عشر من عمره، إذ أعتلى منصة الاحتفال الذي أقيم بمناسبة العيد آنذاك وأنشد أمام أساتذته وزملائه:

العيد حل فحـلا ربعنا العيد وللمسرات في الألباب

تعدو لياليه عدوا وهي ناصعة وما سواها ففيها البيض

قد يحسب الغر جهلاً لا ربيع لنا كـلا فإن ربيع القرية العيد[2]

ثم استقال الشاعر من المعارف السودانية، ويمم وجهه شطر مصر سنة 1947م، والتحق بمعهد المعلمين بالزيتون، وقبل بالصف الثاني مباشرة، وفي نفس العام التحق بكلية دار العلوم بعد أن اجتاز امتحان المسابقة، وفي سنة 1951م نال شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية وفي العام الثاني التحق بمعهد التربية للمعلمين ونال شهادة الدبلوم[3].

وبعد عودة الشاعر من مصر، عين معلماً بمعهد التربية – شندي، وفي سنة 1955م نقل معلماً بمدرسة السنتين سابقاً، كلية المعلمين الوسطى، الآن، وفي العام الثاني نقل إلى مدرسة الخرطوم الثانوية العليا – القديمة – ثم إلى بحري الوسطى سابقاً، المتوسطة الآن[4].

---

(1) إدريس محمد جماع حياته وشعره، أبو هالة عبدالقادر إدريس، مرجع سابق، ص 10.

(2) الشاعر السوداني، إدريس محمد جماع، مدثر، محمد حجاز، ص 63.

(3) إدريس محمد جماع حياته وشعره، أبو هالة عبدالقادر إدريس، مرجع سابق، ص 11.

(4) المرجع السابق، ص 16.

أغراض الشعر عند جماع:

من أغراض الشعر عند جماع الغزل في قصيدته أنت السماء:

أعلى الجمال تغار منا ماذا عليك إذا نظرنا

هي نظرة تنسي الوقار وتسعد الروح المعنا
دنياي أنت وفرحتي ومني الفؤاد إذا تمنا
أنت السماء بدت لنا واستعصمت بالبعد عنا[1]

ومن أغرض الشعر عند إدريس جماع الرثاء في قصيدته التي رثا فيها الشاعر الهادي العمرابي بعنوان: ذكرى شاعر:

عبرت حياتك خطواً سريعاً فمرت فكنت كطيفٍ عبر
ليالي غالبت مر السقام وعودك أوشك أن ينكسر
وكنت كأمس تسوق الطريف وعذب الحديث إلى من حضر
تشيع المسرة في الجالسين أنت تقاسي العذاب الأمر
كفى فدموعي ذرافة وقبلك منحوتة من حجر
وحزني عليك بعيد المدى إذا ما ذكرت ذكا واستعر[2]

وفي المدح قال في قصيدة بعنوان صانع التاريخ:

مازال آماداً يرن بسمعى رجع الملاحم فوق تلك الأربع
هو من صهيل الخيل في وثباتها وصدامها وهزيم صوت المدفع
وصليل أسياف ومشتبك القنا ما بين منتزع وآخر مشرع
صور من الماضي تطوف بناظري وأكاد أبلغ مسها بأصابي[3]

(1) ديوان لحظات باقية، إدريس محمد جماع، مرجع سابق، 130.
(2) المرجع السابق، ص 84-85.
(3) المرجع السابق، ص 78.

أسباب الحزن عند جماع:

ومن الملاحظ أن الحزن عند إدريس تمثل في تنقله الذي آل إليه أسبابه كما قال محمد حجاز مدثر: "ألا يكون لهذا النقل من الثانوية للوسطى أثره البعيد في النهاية التي آل إليها الشاعر مهما كانت مبررات هذا النقل وأسبابه"[1].

ويقول أبو هالة: "هذه التنقلات المتتابعة المتتالية كانت رعاية لحالته الصحية واضطراباته النفسية"[2].

وهذه الفترة تعد مفصلاً مهماً في حياة الشاعر وشعره، إذ حملت قصائده التي وردت في تلك الفترة مأساته وحزنه، مقارنةً مع أشعاره الأخرى، وقد تعددت الآراء حول الحالة التي اعترت الشاعر وجعلته يعيش في ذهول بعيداً عمن حوله، ويقول محمد حجاز مدثر: "إن بعض النقاد، ومنهم عزالدين إسماعيل وعبدالحكيم حسان يرون أن جماعاً كان شاعراً رومانسياً يشكو ولا يبين موضع الشكوى، ويتألم؛ لأنه يفقد شيئاً ولكنه لا يذكر ذلك الشيء، هذا ما نتلمسه لدى الرومانسيين حيث يشكون من الحياة التي يحيونها، بلا تحديد، ويحنون إلى حياة أخرى بعيدة عن حياة الألم هذه"[3].

لكن الشاعر نفسه يقرّ أن اتجاهه في الشعر يفرض التحليق في متاهات الأوهام ويقول: "إن اتجاهي في الشعر، ولا أقول مذهبي، يحترم الواقع ولكنه يريد له الإطار الفني، ولا يضن بالنظرة الجمالية، ويساهم في دفع الحياة إلى

(1) الشاعر السوداني، إدريس محمد جماع، حياته وشعره، مدثر، محمد حجاز، ص 17.

(2) إدريس محمد جماع حياته وشعره، أبو هالة عبدالقادر إدريس، مرجع سابق، ص 16.

(3) الشاعر السوداني، إدريس محمد جماع، حياته وشعره، مدثر، محمد حجاز ، ص 18.

الأمام، ولا يجرد الشعر من أجنحته ولكنه يأبى التحليق في أودية المجهول ومتاهات الأوهام"[1].

ويقول أبو هالة: "نقلاً عن مقال عون الشريف قاسم في جريدة الصحافة 1980/12/29م عن الجزء الثاني من حياة الشاعر، والذي سبق رحيله كان مثالاً حياً ناطقاً لمأساة الشاعر حين تلتطم الشفافية، ورقة مشاعره بخشونة الحياة وتجهمها وغلظتها، وبين إنسانيته الصادقة المرهفة التي لا تمتلك إلا الحب الحاني والعطاء الإنساني، وبين واقع مرير تتكالب فيه النفوس على فتات الدنيا، وتصطرع الأهواء، وتتسابق المصالح، فيتراجع الخير، ويتقدم الشر، ولا يظفر أمثال الشاعر بغير الحسرة والحرقة، فينطوون على أنفسهم، بعيداً عن حياة أخلصوا لها الود، ومنحوها ذوب نفوسهم فصدمت مشاعرهم وأوذيت إنسانيتهم"[2].

ويقول مدثر محمد الحجاز: "إن نقل الشاعر إلى بخت الرضا معلماً كان بداية شقائه الذي قضى عليه، وكان أتعس ما مرّ عليه في حياته وما تصوره من تعاسة، عاد على بخت الرضا ليجد نفسه مقيداً بالوظيفة ومسؤولياتها، وجماع لم يخلق لهذه القيود مع توفر الجوانب الإنسانية في مهنة التدريس، ولكن الشكليات الأخرى التي تفرض على المدرس تجعل التدريس أقرب إلى الوظيفة بمعناها الذي لا يستطيعه جماع، كما أن الأصدقاء الذين عاش بينهم جماع زميلاً منطلقاً كعهد زمالة الدراسة لم يعد لهم من أثر وحل محلهم زملاء

(1) لحظات باقية، ص 15.

(2) إدريس محمد جماع حياته وشعره، أبو هالة عبدالقادر إدريس، مرجع سابق، ص 17.

المهنة الذين يصطرعون في سبيل الرئاسة والدرجات الوظيفية ويبغونها بأية صورة، وليس لجماع منكب يزاحم في هذا الميدان"[1].

إدريس جماع شاعر مرهف الحس ورقيق العاطفة لذلك تأثر بكيد زملائه عليه وحساده ومنافسيه، لأنه امتاز بالذكاء وبالنبوغ، ويقول مدثر محمد حجاز: "عن سبب شقاء الشاعر هو رهافة حسه، ورقة عاطفته، ذلك الحس المرهف الذي يبلغ حداً يصل إلى مستوى براءة الطفل وسذاجته، مما يجعل البعض يأخذ تصرفاته هذه مأخذ السخرية والتندر، جاهلاً حقيقة العاطفة الرقيقة التي تصدر عنها تلك التصرفات"[2].

إدريس جماع شخصية متفردة، عاش فترة زمنية بجسده فقط، وقد لخصه لنا صديق عمره منير صالح عبدالقادر في قصيدة لجماع قال فيها:

غادرتها غير الأسيف وعشت في في عرصاتها بأصالة التعبير[3]

كان جماع قبل مرضه وبطبعه الذي فطر عليه رزيناً هادئاً قليل المزاح، قليل الكلام، ذكياً[4].

كان ذكياً شهد به الآخرون، هذه صفات قل أن تجتمع في شخص، أما من ناحية شكله، كان مذهب الشكل كثيف شعر الرأس[5].

وعلاقته مع الناس كان يحبهم حباً عميقاً حتى لمن أساء إليه[6].

---

(1) الشاعر السوداني، إدريس محمد جماع، حياته وشعره، مدثر، محمد حجاز، ص 14-15.

(2) المرجع السابق ، ص 17.

(3) لحظات باقية، ص 11.

(4) مقابلة شخصية – آسيا جماع – حلفاية الملوك، 1990/9م، مرجع سابق. نقلاً عن عبدالقادر الشيخ إدريس، إدريس محمد جماع حياته وشعره، رسالة ماجستير (1990م).

(5) المقابلة السابقة.

(6) المقابلة السابقة.

يخبرنا صديقه ويثبت ما كان يحدث لجماع في المعهد "عاد لبخت الرضا ليجد نفسه مقيداً، لذلك لم يوفق كمعلم في هذا الجو الذي سبق ذكره فنقل للخرطوم الثانوية، ولكن لم يبق بها طويلاً ليعود مدرسا في المدارس الوسطى"[1].

من هنا يتضح السبب الحقيقي الذي من أجله نقل جماع من بخت الرضا للخرطوم وليس حسد الزملاء، لأنهم معلمون لا يد لهم في تحويله أو نقله، وحوِّل إلى المدارس الوسطى، فما السبب الذي حوله من هذه المدرسة أيضاً؟ وقد فارق الذين حسدوه في بخت الرضا فهل وجد مجموعة أخرى من زملاء المهنة وتعاملوا معه نفس المعاملة في المعهد؟ اعتقد أن الإجابة لدى شخصية أخرى تعطينا سبباً لما حل به، استغل بعض زملائه بساطته وحسدوه في ذكائه الذي فاقهم فبدأوا أيضاً يقولون له عبر النوافذ والحصص، حتى أثر ذلك على أدائه ففصل من مهنته[2].

ومن هنا يتضح سبب تحويله من هذه المدرسة لأخرى مختلفة عنها في المرحلة ومن ثم تخليه عن التدريس نهائياً، وأغلب الظن أن الرأي الأصح لسبب ذلك أنه في المدارس التي بدأ بها مهنة التدريس اثبت جدارته وكان يأتي بأفكار مبتكرة وهذه تدل على مدى تفاعله وراحته في هذه المدرسة، نموذجاً للمعلم الناجح وسبب آخر هو اختلاف التلاميذ الذين يتلقون العلم على يديه، ومن الممكن أن يستغل طلبة المرحلة الثانوية إحساسه المرهف ويسببون له الكثير منا المضايقات ولا غرابة في ذلك فإنها ما زالت تحدث لليوم في المدارس

---

(1) جماع قيثارة الإنسانية والنبوغ، محمد حجاز مدثر، مرجع سابق، ص 19.

(2) مقابلة شخصية بين مارلين ومدير معهد بخت الرضا، الهادي أبوبكر إسحق، أم درمان 1989م، مرجع سابق.

الثانوية خلافاً للوسطى لأن الأخيرة ما برح طلبتها في سن الطفولة – المتأخرة – ويتعلقون بالمعلم الذي يتعامل معهم باللين والأخلاق الدمثة دون أن أصف جماع بعدم القدرة على ذلك أو عدم استطاعته التحكم في حصته معهم".

نجد أن هناك اعترافاً خفياً يوافق هذا الرأي وهو كذلك لم يوفق جماع كمعلم في هذا الجو ... ماذا يعني لو لم يوفق جماع كمعلم؟ ليس له معنى في اعتقادي غير الأداء الوظيفي، ويصبح السبب هو عدم توفيقه في أداء مهمته كمعلم، هذا بالنسبة للمعهد، أما بالنسبة للأسباب الأخرى يرى بعض النقاد أن جماعاً رومانسي يشكو ولا يبين موضع الشكوى ويتألم لأنه يفقد شيئاً ولكنه لا يذكر ذلك الشيء، وهذا ما يلتمس لدى الرومانسيين يشكون من الحياة التي يحيونها بلا تحديد ويحنون إلى حياة أخرى بعيدة عن حياة الألم هذه[1].

شرد تفكيره شروداً لا عودة منه وهو الذي وصف بأنه في يوم من أيام عمره (كان من الحافظ حتى أرقام الصفحات التي يقف عليها الطلبة في قراءتهم ويخشون نسيانها فيعهدون بها إليه ويحفظها عن ظهر قلب[2].

واليوم لا يستطيع تذكر أول الحديث حتى يربطه بآخره وهذه بداية انعزاله التام، عدم التركيز، فانزوى بعيداً عن أعين الناس وكان رغم ذلك بينهم في بعض الأوقات مثل حياته في مجتمع المدرسين أو بين أهله ينعزل منهم ثم يعود لحظات يخالطهم حياتهم، وكذلك في بخت الرضا يجلس بين زملائه لكنه في عالمه الخاص، فوصل لنهاية مطافه وتطورت عزلته حتى أصبح رفيق الشجر يلجأ إليه كثيراً وصارت الطبيعة الصامتة هي رفيقته.

---

(1) جماع غيثارة الإنسانية والنبوغ، محمد حجاز مدثر، مرجع سابق، ص 23.

(2) أحد الذين عاصروه في معهد التربية، شندي، بتصرف.

ما زال أهله يذكرون تلك الشجرة التي كان يجلس تحت ظلها، ويشكو إليها ما يحس بالصمت أو الكتابة على رمالها يكتب شعراً ثم ينصرف كما قال ابن أخته: "كان يجلس وكنت أرافقه وأنا صغير يكتب على الأرض ثم يتحرك من مكانه تاركاً ما كتب على الأرض"[1].

دون أن يحس بقيمة ما ترك ولو جمع ما كان يكتب لفكك طلاسم كثيرة في حياته كما صورها و في قوله:

حياة لا حياة بها ولكن بقية جذوة وحطام عمر[2]

هذا ما آلت إليه حياة جماع التي كانت قمة في كل شيء في كل طريق لم يبق منها غير جذوة وحطام يشير لوجوده الجسدي فقط.

أما عدم اقتناعه ورضاه التام عن شكله ومظهره اثبت في قصيدته (بين اسمي ورسمي) فكان مهتم بهذا الشكل رغم عدم اقتناعه به لأن كثافة شعره وجماله تنمان كلاهما عن اهتمام به، ثم بدأ هذا الاهتمام يضمحل حتى تلاشى وصار حاق الرأس ثم أصلع[3].

عدم عنايته بنفسه كانت بداية التخلي عن حبه للنظام والترتيب أما صفة الهدوء ساعدت في إخفاء الأعراض المرضية كثيراً؛ لأن مرضه أخذ هذه الصفة مظهراً له وتطورت إلى أن غير معاملته مع الناس وهو الذي كان يستقبل كل من يلقاه بابتسامة حبور وترحيب ولكنه اليوم أصبح انطوائياً منكمشاً، نظرته للناس غريبة تدل على خوف واستغراب[4]. فقدت الابتسامة معناها وصارت غريبة.[5]

---

(1) الجانب الإنساني في شعر إدريس محمد جماع، مارلين عوض الله الحسن، (1997م) ، رسالة ماجستير في الأدب والنقد، جامعة أم درمان الإسلامية.

(2) لحظات باقية، إدريس محمد جماع، ص 86.

(3) المرجع نفسه ص 87.

(4) المرجع نفسه ص 89.

(5) لحظات باقية، إدريس محمد جماع، ص 91.

إن جماع قاوم الإحباط بأسلوب دفاعي يظهر عند الشخص في حالة شعوره بنقص معين عضوي أو عقلي وفي هذه الحالة يعمل الفرد على الإنجاز والتفوق في مجال يأنس القدرة والكفاءة فيه وفي التعويض يهدف الفرد إلى أن يتفوق على الآخرين حتى يعادل تفوقهم عليه في الجوانب التي تنقصه[1].

فهل حاول جماع ذلك؟

جماع نقصه في جوانب أخرى، فهو نقص عاطفي، عند ما فتح عينيه على النور رأى لأخوته وزملائه أمهات دونه فلجأ للدراسة وساعد في ذلك عقله وذكاؤه فأتم النقص الذي أحسه واتجه إلى الدراسة وفي نفسه قدرة لم تتوفر لأحد غيره وهي إرادته القوية واستئناسه للعلم ويكفي دليل على ذلك أنه درس المرحلة الثانوية بنفسه.

كان جماع يبدو طبيعياً ولا ينقصه شيء فقد يكون النقص حقيقياً وقد يكون وهمياً وفي كلتا الحالتين يلجأ الفرد لإكمال هذا النقص ولاسيما إذا تكونت لديه عقدة نقص وهو التصرف اللا سوي على عكس الشعور بالنقص فهو سلوك طبيعي[2].

والعزلة تمثل عند جماع محور دفاعه فماذا يعني في اللغة – عزله تعني أفرزه .. وعزله عن العمل نحاه، وعزل عن أمته .. ومن ذلك تعني انه تنحى بنفسه عن الناس إذن العزل هو التنحي. أما في مجال علم النفس والاصطلاح فهو ميكانزم يشير إلى وضع فواصل عازلة وحواجز بين الأفكار والمشاعر

(1) الصحة النفسية، علاء الدين كفافي، ط2، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، 1987م، ص 383.

(2) محمد أبي بكر عبدالقادر الرازي، ص 430.

ومجالات الاهتمام والعمل بهدف تقليل الشعور بالتوترات وألوان القلق، وهذا ما نجده بالضبط لديه[1].

وأول عرض مرضي عرفه الناس عنه أنه كان ينعزل بصورة غريبة. وكيفية مقاومته بينتها من قبل أن العزل عندما استخدمه كوسيلة دفاعية فلت ودخلت به في الاضطرابات النفسية لذلك كان هو الأظهر والأوضح بخاصة أنه انقطع عن مجالات اهتمامه الواسعة، كما انقطع عن مواصلة مشواره العملي حتى لو كان بسبب فرض عليه فقد تركه ولم يبحث عن بديل له من المجالات الأخرى.

وأصول هذا العزل كثيرة منها الجوانب التي وفرها الباحثون كل على حسب اتجاهه، ومنها التي تنطبق على جماع والتي اتجه إليها ذوو الاتجاه الإنساني من الباحثين، وهو ما أسموه عدم الاتصال النفسي ويعني عدم قدرة الفرد على التواصل مع الآخرين، أو رفضه لهذا التواصل وعدم رغبته أو قدرته على الاندماج العاطفي مع شخص آخر، وهذا بسبب تأذي المشاعر الفردية بصورة حادة في تعامله مع الآخرين، حنيئذٍ يلجأ إلى حماية ذاته ضد المزيد من هذا الإيذاء، فيكون بين الناس وليس معهم وتقوم هذه الوسيلة على أساس تجنب الاتصال الوثيق مع الناس وعدم الاندماج العاطفي معهم، بما لا يمكنهم من أن يعرفوا حقيقة أفكاره ومشاعره[2].

وينطبق هذا على جماع في عزلته وفصله مشاعره وأفكاره عن الناس وكل هذا سبب له الابتعاد عن النقد القاسي والمعكر للصفو، مما يحقق له

---

(1) الصحة النفسية، علاء الدين كفافي، جامعة القاهرة، كلية التربية، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1987م، ص 386.

(2) المرجع السابق، ص 386.

إشباع وهمي يحقق له أهدافه لأنه لا يتعرض إلى لانتهاك الآخرين. حتى لو كان من الماضي، إذن عدم رده الإساءة إضافة لحفاظه على مشاعر الآخرين فإنه يحفظ مشاعره من الاحتكاك وهو بينهم.

علاءالدين كفافي ليس هو المتحدث الوحيد عن الجانب الأسري عامة والأمومة بخاصة إنما هناك غيره كثير وعلى سبيل المثال لا الحصر نورد أحدهم والذي درس جانباً آخراً وهو تأثير انفصال الوالدين أو الطلاق يؤدي إلى عدم الشعور بالأمن، عدم الاستقرار، العزلة وعدم وجود من تتمثل فيهم وأساليبهم السلوكية والخوف من المستقبل[1].

هذه نفس الأعراض عند جماع. وإذا كانت هذه الأحاسيس السلبية لدى من انفصل والداه وهما على قيد الحياة وعاش على أمل اجتماعهما مرة أخرى، فما بال من انفصل أبواه فصلاً أبدياً فرض عليهما رضيا أم رفضا؟ فبالتأكيد طالما إنها وجدت فإنها تكون أكثر عمقاً وألماً وحزناً، ومهما كان نوع الانفصال فيثبت مدى عمق تأثيره في شخصية الفرد وبناء كيانه الإنساني متمثلاً في الإحباط والشعور بالإثم وامتهان الذات والشعور بالنقص[2].

عند مقارنة هذه الأحاسيس بشخص جماع نجده عاني من بعضها كثيراً وظهر حزنه، ولكن ما يضيفه جديداً أن المثالية والطموح ربما هما سبب فيما حل به أدليا بدلوهما مع بقية العلل وما أكبر طموح جماع وما أبعد مثاليته التي عاشها وهدف لتحقيقها.

هذا كله يعني أن جماع قد تعرض لجروح كثيرة في حياته وبخاصة أنه فنان وإحساسه المرهف يجعل الجرح العادي عنده عميق، وكل ما خفق في

(1) الصحة النفسية والعلاج النفي، حامد عبدالسلام زهران، ط2، القاهرة – عالم الكتب، 1987م، ص 55.
(2) الصحة النفسية، علاء الدين كفافي، مرجع سابق 387.

داخله وكل ما هزه من الخارج له إشارات داخل ديوانه على قلة ما فيه من أشعار، ورغم أن الجزء الأهم في حياته قضاه سجين نفسه، ولولا ما ألم به من داء لأثرى الأدب السوداني بأشعاره.

الحزن عند جماع تمثل في شعره ونلتمسه واضحاً فيه وقد قال في إحدى لحظاته:

من دمي أسكُبُ في الألحان روحاً عطره

ورُؤى النفس وأندى الأماني النضـــرة

وشجـــوني وحـــياة بالأسى مستعره

خُلِقَت الزهـــرةُ تفْنى لتعيش الثمـــرة

رؤى النفس وأمانيها هي أمانيه ونفسه ولكنه مليئة بالأسى والحزن أما بيته الأخير فما هي الثمرة وما تلك الزهرة التي تحدث عنها؟ وإنك لتحس بأن هناك شيء يفصل هذا البيت عن الأخريات وفي رأي أن الزهرة أمه والثمرة هم أولادها فهو أقرب معنى لهذه الزهرة الذابلة والثمار العائشة بعد ذبول الأم، فنيت هذه الأم وعاشوا هم ممثلين ثمرتها، ونفس القصيدة تحمل صوراً أخرى استوحى منها تأثير هذا الحادث عليه وهي قوله:

مثلما تمتد للروض هـــــناءتي وبُؤسِي

يفرحُ الروضُ فتحيّا فرحـــــةٌ منه نفسي

ويغني فتغني بين أمـواه وغـــــــــرس

وحنان العش دفء في دمـي يغمرُ حِسّي

وإذا هُدم شـــــاعَت وحْشَةٌ منه بنفسي[1]

(1) لحظات باقية، إدريس محمد جماع، ص 19.

"المقطوعة أعلاه تحوي صوراً شتى تبعث الراحة النفسية لديه مثل صور العش الذي يملأه الحنان والدفء والتي لها تأثير يجري في دمه أكثر من الصور الأخرى، ولكنه كسر هذا الفرح وأبى إلا أن يتذكر إمكانية هدم العش وتشيع وحشة منه في نفسه، لماذا هذا التشاؤم؟ لماذا لم يتخيل أن الروض يمكن أن يهرم وأن الزهر يمكن أن يذبل وغير ذلك؟ والإجابة في ظني واضحة؛ لأن العش الذي كان آواه واحتواه بحنان قد هدم، ويمكن أن تكرر هذه المأساة في العش الذي رآه، والذي لم يفكر أحد فيما بداخله ماذا سيحدث لهم؟ فكر فيه جماع وفي الحنان الذي يصدر منه وفي زغاب الطير ومصر دفئها، فهذه الصورة فرح يملأ كيانه لأنه يحسه دون كل الناس، وإذا هدم يحزن أكثر لأنه مر بهذه التجربة المريرة عندما هدم المنون عشه وحرمه دفئه"[1].

صور حياته المليئة بالحزن عند موت والده الذي جدد لوعة قديمة في داخله، وفيها يشبه حياته بالأمواج ولها بالطبع شاطئ ينتهي فيه مدها، لكن أمواج حياته كلما أرادت أن تكمل مدها للشاطئ أتت آهة بسبب حادثة جديدة حسرتها والموجة الأخيرة جعلت حاضره يزوي ويتلاشى وسروره ينتهي عندما قطع مدها دون الشاطئ؛ بسبب البلوى التي تتابعت عليه وهي من نوع واحد إذا اختلفت قدراً فالاختلاف الوحيد بينها الموعد الذي حانت فيه وقدر أثرها عليه وإثبات تذكر والدته في قوله:

ها هى أيامـى تباعاً تشابهت بها صورُ البلوى إذا اختلفت قدرا
نعتك أبي دارٌ تخطفهـا الردى وكنت نبعاً من سـعادتها عمرا
سرت وحشةٌ منا لفقدك لم تدع صديقاً ولا داراً ولا منبتاً نضرا

(1) الجانب الإنساني في شعر إدريس محمد جماع، مارلين عوض الله الحسن، (1997م) ، رسالة ماجستير في الأدب والنقد، جامعة أم درمان الإسلامية.

وفي كل ما يبدو لنفسي وما أرى وأسمع من حولي بواعث للذكرى[1]

صيغة المبالغة في البيت الذي يحوي نعي الدار لأبيه تدل على تكرار الموت داخلها وعند الرجوع لماضيه لم نجد غير وفاة والدته ومن بعدها صاحب هذه اللوعة وبينهما ابن خالته محمد محمد علي ولن يصل تأثير فقده لما يحسه لفقدان أبيه أو أمه رغم صغره عندما طالته يد المنون.

عبّر إدريس محمد جماع عن عاطفته الجياشة المليئة بالآلام والأحزان.

خطوب لو جهرت بها لضاقت بها صور البيان وضاق شعرى
جهرت ببعضها فأضاف بثي بها ألماً إلى آلام غـيري
كأني أسمع الأجيال بعدي وفي حنق تردد هـول أمري

إن أحلامه وآلامه ليست لشخصه وإنما لكل مقهور ومسلوب الإرادة والأرض والضمير، القصيدة تمثل قمة في ما كتب جمع في شعره الذي يعبر عن الوطن يعبر فيها تعبيراً صادقاً عن حياة السودان والأمة العربية، وإدريس جماع يأبى أن يكون كمن يسهل الهوان عليه، لذلك فهو ثائراً أبد الدهر والأجيال القادمة تردد صوته الثائر، وصوته الذي ظل وراء القضبان لابد أن ينفجر يوماً ويفك قيد المأسورين ما دام وجدانه وفكره يبحثان عن الخلاص[2].

الحزن الذي خيم على حياة إدريس جماع له نماذج كثيرة وقل أن تجد له شعراً خالياً من الحزن حتى لو عناوين قصائده مثل شاعر الوجدان والأشجان، عندما قال:

---

(1) لحظات باقية، إدريس محمد جماع، ص 82.

(2) الصور الفنية في شعر إدريس محمد جماع، رسالة دكتوراه، إعداد عبدالنبي عبدالله جمعه عرمان، إشراف بله مدني، ص 381.

ماله أيقظ الشجون فقاست وحشــة الليل واستثارا الخيالا

ماله في مواكب الليل يمشى يناجـــــــي أشباحه الظـلال [1]

بحر الخفيف

هذا الشاعر الذي أيقظ أحزانه أثناء الليل، ونادى خياله وسار معه والحزن في تلك الظلمة مع الأشباح فهو يمشي في اضطراب نفسي قوي وخوف وهلع؛ لأنه انتزع نفسه من دنيا الواقع وتوارى بها عن الناس وعاش وهو خائف منهم متوقعاً كل شر.

أما عن علاج إدريس محمد جماع يقول منير صالح عبدالقادر: "كانت أيام إقامته الطويلة في السراية قد انتهت وتخلى المسؤلون عن التزامهم بمواصلة العلاج وتوقف المدد المادي الذي كان يُدفع لمواصلة العلاج وكان قد حضر أخوه – عابدين جماع – لاصطحابه إلى حلفاية الملوك حيث استقر فيها لسنوات طويلة قبل أن يختم سجل حياته بذهابه إلى مقبرة العبدلاب في حلفاية الملوك، وعن قصائده ترى الشاعر وكأنه يصافح الكائنات الحية والمنظورة واللا منظورة، إني لأسمع في الديوان إنذاراً وتنبيه لشاعر يتحول إلى دنيا جديدة وهو مقدم عليها فسار الشاعر إلى عالم المثاليات التي أحبها وعاش فيها قبل تحوله وفي عينيه الحزينتين بقايا دموع لم تنسكب ليروي بها أزهار وادي عبقر، وكان في استقباله بنات عبقر يلوحنّ له بباقات الورود والرياحين وهو مقدم عليهن في وجل متردد وأهازيج الوادي تملأ سمعيه وهو يقدم نفسه لرئيس الجماعة ويصف نفسه فيقول:

---

(1) لحظات باقية، إدريس محمد جماع.

هو طفل شاد الرمال قصوراً هي آماله فترك الرمالا"[1].

توفى الشاعر إدريس محمد جماع في يوم 1980/3/24م ودفن بمقابر (الصوارد) بحلفاية الملوك، وهي مقبرة قديمة تقع في أطراف المدينة الشمالية، وقد دفن في الجزء المخصص منها للعبدلاب[2].

(1) ديوان لحظات باقية – شعر إدريس محمد جماع، دار الفكر الخرطوم، ط3، 1984م، ص 9–10.

(2) إدريس جماع حياته وشعره، عادل أحمد الزبير، الدار السودانية للكتب، 2005م، ص 79.

المبحث الثالث

مظاهر الحزن عند التيجاني وإدريس جماع (موازنة بينهما)

أيضاً تشكل ما تقدمه الخلوة من مادة تربوية، تعليمية، نقطة تقارب بين تجربة الشاعرين الشعرية، فالقرآن مادة ومنهج تعليمي وتربوي، يعملان على إنضاج ملكتهما اللغوية، وصقل حسهما الموسيقي وهما في سن الطفولة، فطفقا يقرضان شعراً يفيض بالمشاعر الرقيقة، وشفافي الشعور ورقة الأحاسيس، ودقة الفكر وسمو الخيال، وسلامة اللغة، وقد وفقا في مزج كل ذلك فنياً بإلهامات الطبيعة، وتفاعلهما مع أحداث وطنهما، والتفاعل مع المواقف الإنسانية العامة، وانعكس ذلك على تجربة الشاعرين فأبدعا شعراً يصور واقعهما تصويراً فنياً يعبر عن موقف الشاعرين الوجداني ويكشف تطلعهما لواقع فاضل يحلمان به بديلاً.

إذا أردت التحدث عن العاطفة الوجدانية عند الشاعرين، تجد أن التيجاني كان مشغولاً بنفسه ولم يهتم كثيراً بالجوانب الوجدانية إلا قليلاً، بينما نجد أن جماع قد عشق وعانى من حرمان الوصال بمحبوبته وهذا الأمر يظهر في شعره كثيراً.

أما إذا أردنا التحدث عن أسباب الحزن عند الشاعرين فنجد من أسباب الحزن عندهما:

1/ الفقر:

كان الفقر من أسباب الحزن عند الشاعرين وقد أثر في إنتاجهما الشعري حيث نجد أن جماع قد تأثر بفقره الذي حرمه من مواصلة دراسته فانعكس ذلك سلباً على نفسه وعلى إنتاجه الشعري، فنلمس ذلك في قوله:

وإذا ما سقطَ الطيرُ الجريحُ وهو مخضوبٌ على الأرض طريحُ
يضربُ الأرضَ بريشٍ ويصيح حوله زغب من الطير تنوح
وتلمست بجنبيك الجروح فبحقٍ أنتَ إنسان وروح[1]

شبه جماع نفسه بالطير الجريح الذي سقط على الأرض طريحاً يضرب الأرض بريشه ويصيح، كذلك حال جماع الذي منعه الفقر من تحقيق أحلامه وهي السفر لمصر ويرجع ذلك للفقر الذي يعيشه وذكر جماع كلمات تدل على المعنى مثل كلمة الجريح، يصيح، الجروح.

والفقر كان سبباً للحزن عند التيجاني فنجده يقول:

تعالي معي زهرات الخريف إلى الكوخ أفلت منه الربيع
ومر به غير مستحب إليه سوى زفرةٍ من دموع
وما كان ينفذ منه العبير ولكن شحاً أصاب القنوع
تعالي نعطر ثياب الفقير ونمسح مآسي عبر الربوع[1]

ذكر هذه الأبيات في قصيدة له بعنوان: دنيا الفقير حيث ذكر ألفاظاً مباشرة تدل على حالة الفقر التي عاشها الشاعر، وفي رأيي أن جماع أسلوبه أجود من التيجاني؛ لأن جماع قد شبه نفسه بالطير المجروح أو مكسور الجناح الذي لا يقدر على التحليق، أما التيجاني فكان مباشراً في أسلوبه عندما قال في بيت له في نفس القصيدة:

فيا آهة ملء دنيا الفقير ويا أنة ملء دنيا الوجيع[2]

حيث ذكر كلمات تدل على الحزن وهي آهة، الوجيع.

---

(1) ديوان الشاعر إدريس محمد جماع – لحظات باقية، ط3، 1984م، دار الفكر للطباعة والنشر – الخرطوم، ص 47.

(1) ديوان الشاعر التيجاني يوسف بشير – إشراقة – ط6، 1972م، دار الثقافة بيروت، ص 44.

(2) المصدر نفسه، ص 45.

الفقر: محور مشكلات التيجاني وجماع:

في الوقت الذي يرى فيه الكثير من النقاد أن التيجاني استطاع أن يتعايش مع فقره وأن يفلسفه تارةً ويسخط تارةً أخرى، إلا أننا نجد أن الفقر من العوامل الأساسية التي أثرت تأثيراً مباشراً على نظرة التيجاني للحياة فهو ينطلق من حالة الفقر المُدقع التي كان يعيشها والحاجة التي حرمته من تحقيق طموحاته ومواصلة مشوراه في العلم. قال: في قصيدة له بعنوان هوى وفقر:

سما بالهوى فقري ومن لك بالهوى سماوي معنى كله أبداً نبل
هوى ساوقته النفس والشعر فانتمى إلى القلب واستولى مقاوده العقل
وهبت له نعمى الحياة، وزدته ذخائراً سرار المفاتن من قبل
وهبت له الدنيا فأثرى ولم أهب له التبر منها أن مشرعها ضحل[1]

وفي رأيي أن التيجاني يحمل فقره مسئولية الحال التي وصل إليها ويؤكد أنه السبب الرئيس لبؤسه وتعاسته لذلك ذكره في هذه القصيدة، وفي رأي أن التيجاني استخدم ألفاظ مباشرة ليعبر بها عن الفقر الذي عاشه.

بينما لم يثبت أن الفقر من أسباب الحزن عند جماع الذي لم يتأثر بالفقر ولم يحرمه من مواصلة دراسته بالسودان وكذلك سفره للدراسة بمصر، حيث نفت أسرته بشدة لمكانتها الاجتماعية المرموقة، حيث يقول أخيه زين العابدين محمد جماع أن المصروفات لم تعقه عن مواصلة تعليمه، فبيتنا هو بيت المانجل الذي يمتلك أرضاً وضياعاً شرقاً وغرباً، وما زلنا ننهل من ميراث والدنا عليه رحمة الله.

(1) ديون الشاعر التيجاني يوسف بشير – إشراقة– مصدر سابق، ص 145.

قال التيجاني عن الفقر في قصيدة أخرى بعنوان: دمعة على طفل:

لوددت أني في الطفولة مائت لو كنت أسمع بالشباب العاثر[1]

وبالرغم من أن التيجاني مجد الفقر في كثير من قصائده الأخرى وفي رأيي أنها حالة من التلاطم والتماوج والتقلبات التي عاشها الشاعر يقنع نفسه بضرورة استمرار الحياة وأن المال ليس كل شيء حينما ييأس من حاله ويقنع بما قسم له، ولعل بعض الأمثلة على هذا هو قوله في قصيدة (قلب من ذهب):

أينا لو عدلت يكتنز العالم في صدره وفي تفكيره؟

أينا يزحم الوجود جناحيه وتمشي الحياة بين ضميره؟[2]

وفي قصيدة هوى وفقر:

ولي في كنوز الروح سلوى وغنية بحسبي لا خلف لجيها ولا مطل

وحسبي لا أثريت منها وإنني ليصرف نفسي عن نضاركم شغل[3]

وفي رأي أن التيجاني عاش حياة متلاطمة وصاخبة بالتناقضات ولعب الفقر فيها دوراً كبيراً فهو الذي قاد الشاعر للاجتهاد ليتغلب على رصفائه ويثبت أفضليته ونبوغه لينسف حاج الفقر داخله وعمل ليلاً ونهاراً ليوفر أساسيات معيشته وبذل جهداً أكبر لتثقيف نفسه بما هو متاح من كتب، ووقف الفقر عائقاً في تحقيق أمنياته.

وعن الفقر قال جماع في قصيدة بعنوان (نحو الوثبة):

قسوة الحاضر لا تشغل إلا ثقتي

وذبول العيش بعث للمنى الناضرة

---

(1) ديون الشاعر التيجاني يوسف بشير – إشراقة– مصدر سابق، ص 88.

(2) المصدر نفسه، ص 64.

(3) المصدر نفسه، ص 145.

ولظى الأحداث لا يوهن يوماً عزمتي

إنه يملأ نفسي بمعاني القوة[1]

يقول جماع مهما صعب عليه حاضره لم يغير فيه شيئاً ويشغل ثقته والأيام التي عاشها في الفقر شبهها بلظى رغم ذلك لا يفتر عزمه ويملأ نفسه بمعاني القوة.

وفي رأيي أن جماع استعمل الوصف حيث وصف الأيام الصعبة التي عاشها بلظى ووصف نفسه بالقوة والإصرار على المبدأ واستخدم التشبيه بكلمة لظى وذكر كلمات تدل على الحزن (قسوة – لظى).

2/ الحياة السياسية والاجتماعية:

من أسباب الحزن عند الشاعرين، حيث عاش الشاعران في عصر واحد، وقد اتسم هذا العصر ببعض المظالم وعدم الحرية فنجد كلٍ من الشاعرين تكلم عن هذا الظلم. فعبر جماع عن ذلك في قصيدة بعنوان (نسمة الحرية) يقول:

شعبٌ يغني يوم عيد فخاره بأجل لحن رن في قيثارة
لحنٌ يفيض حماسة فكأنما تتناثر النيران من أوتاره
غنى به الحادي فكان نشيده وشدا به العزاف في مزماره
واليوم آمال البلاد تجمعت وتوحدت في البرلمان وداره
هتفت تطالب بالجلاء وعزمها متدافع كالسيل في تياره
لترد للوطن العزيز كرامة ديست وتمسح عنه وصمة عاره[2]

كان جماع يناضل في شعره ويتحدث بلسان الشعب السوداني الذي عزف على قيثارته لحن الحماس كالنيران المتناثرة، وهذا اللحن تغنى به سائق الماشية أي راعي الماشية وأرسل كذلك العازف على المزمار ذلك اللحن وهو

(1) ديوان الشاعر إدريس جماع – لحظات باقية، مصدر سابق، ص 123.

(2) ديوان الشاعر إدريس محمد جماع، مصدر سابق، ص 27.

لحن الجلاء جلاء المستعمر من السودان ولحن الاستقلال ويرمز بكلمة آمال البلاد للشعب السوداني وذلك كلمة توحدت الدالة على المعنى، توحدت في البرلمان أي المجلس التشريعي ومجلس الوزراء، وهو دار السودانيين، توحدت فيه كلمة الحرية بين السودانيين بجلاء المستعمر وعزمهم متدافع كالسيل في تياره عبر بكلمة النيران الدالة على المعنى وكلمة الجلاء الدالة على المعنى وكلمة وصمة العار الدالة على المعنى وكلمة حماسة الدالة على المعنى.

أما إذا أردت الحديث عن التيجاني يوسف بشير من ناحية الحياة السياسية والاجتماعية فتجده يقول في قصيدته بعنوان (وحي المحامد) يمجد فيها الرئيس الأسبق إسماعيل الأزهري فيقول:

كم على مرجل المروءة في صدرك لما استثرت من بركانه
وأنرت الطريق للنشء إذ كان حماس الشباب في طغيانه
(أزهري) البيان ماذا يقول الشعر عنكم وحيل دون بيانه[1]

عبر بألفاظ دالة المعنى مثل كلمة على وكلمة بركانه وكلمة حماس وكلمة طغيانه شبه التيجاني الكلام الذي يدور داخل صدر الأزهري من شدة إصراره عليه كأنه يغلي وأخرجه في شكل بركان وأنار به طريق الشباب والناشئين وهنا عج عن التبير عن الأزهري حيث قال: وحيل دون بيانه وفي رأيي تعبير جماع أجود.

وعن الحياة السياسية والاجتماعية يقول جماع في قصيدة له بعنوان: (لحن الفداء):

إذا ردد القوم لحن الفدا وثبنا سراعاً وكنا صدى
أعاهد قومي وهذي يدي على أن أزود وأن أفتدي

(1) ديوان الشاعر التيجاني يوسف بشير، مصدر سابق، ص 83.

حماي المقدس من مولدي حرام به قدم المعتدي
جرى في دمائي ثبات الجدود وحب الردى تحت خفق البنود
كسور وقفنا لنحمي الحدود كفانا من الفخر أنا جنود
إذا الأرض دوّت بقصف اللهب تذكرت في موجها الملتهب
بطولات قومي وراء الحقب فأذكى دمي وقدها الملتهب[1]

ذكر جماع حماسه للوطن وحبه له حيث قال سار في صفوف الموت من أجل نيل الحرية لوطنه وينهل من حوض الموت حتى لو كان مورد ويقول أنه ورث الثبات من الجدود وحب الموت ويشبه نفسه ومن معه من الجنود بالسور أي الحاجز لحماية الحدود، وفي رأيي أن جماع استخدم ألفاظ مباشرة للتعبير عن الحياة السياسية والاجتماعية.

3/ الحرمان من الحب:

الحب عند التيجاني وجماع:

لم يثبت أبداً أن التيجاني تعلق بفتاة بعينها وذلك من خلال قصائده، وظهر ذلك جلياً في شعره من خلال عدد من الأبيات المتفرقة وقال في قصيدة له بعنوان زهى الحسن:

أمنت بالحسن برداً وبالصبابة ناراً
وبالكنيسة عقداً منضداً من عذارى
وبالمسيح ومن طاف حوله واستجارا
إيمان من يعبر الحسن في عيون النصارى[2]

(1) ديوان الشاعر إدريس جماع – لحظات باقية، مصدر سابق، ص 59.

(2) ديوان الشاعر التيجاني يوسف بشير – إشراقة– مصدر سابق، ص 58.

في شعره إشارات متباعدة عن وصف حبيب تارة من القبط الذين يسكنون حي المسالمة المجاورة لحيهم وتارة سودانية وتارةً يهودية، فالتيجاني مرهف الحس وبالتأكيد يبقى عاشقاً للجمال أينما كان، وفي رأيي التيجاني ابتعد كثيراً عن التوصيف الجسدي للأنثى وسما به بعيداً عن الحسيات وتجنب الإشارات الاسمية إلى أنثى أو فتاة بعينها وآثر التعميم والتعمق في وصف دلالات الجمال والسير بمحاذاة فلسفته لها، ولعل التيجاني أسره حسن النصارى الذين يقطنون حي المسالمة.

والحب عند إدريس محمد جماع حيث قال في قصيدة بعنوان (ربيع الحب):

في ربيع الحـــب كنا نتســـــــــاقى ونغـني
نتناجى ونناجـــــــي الطير من غصن لغصن
ثم ضاع الأمس منا وانطــوت في القلب حسرة
إننا طيفـــــان في مـــاء ســـماوي سرينا
واعتصرنا نشـــوة الحب ولكـــن ما أرتوينا
إنه الحـــب فلا تســـــــأل ولا تعتب علينا
كانت الجنة مســـــــــرانا فضاعت من يدينا
ثم ضاع الأمس منا وانطـــوت في القلب حسرة
أطلقت روحي من الأشجـــان ما كـــان سجينا[1]

يصف جماع أيام حبه بأنه كان يتحدث مع محبوبته ومع الطير من غصن لغصن وشبه نفسه بالطيف هو ومحبوبته يسرى من ماء سماوي ورضفا

(1) ديوان الشاعر إدريس جماع – لحظات باقية، مصدر سابق، ص 129.

من نشوة الحب وما أرتويا ولكن غدرت به محبوبته وتزوجت من غيره لذلك قال ضاع الأمس منا وانطوت في القلب حسرة، وفي رأيي أن جماع استخدم الوصف والتشبيه حين شبه نفسه بالطيف وذكر كلمات دالة على الحزن وهي: (حسرة – ضاعت – سجينا).

وأيضاً التيجاني يقول عن الحب في قصيدة له بعنوان كنائس ومساجد:

ولقد تعلم الكنائس كم أنف مدل بها وخد مورد
ولقد تعلم الكنائس كم جفت منضى وكم جمال منضد[1]

ويقول أيضاً في نفس القصيدة:

درج الحسن في مواكب عيسى مدرج الحب في مساجد أحمد
ونمت مريم الجمال وديعاً مشرقاً كالصباح أحور أغيد[2]

لم غيب الحسن السوداني عن قصائد التيجاني، إذن فقد كان التيجاني محباً للجمال ولم يثبت تعلقه بفتاة بعينها.

إذا أردت التحدث عن الحرمان الذي عاشه التيجاني من الحب فنجده في قصيدة له بعنوان: بين الوصل والفراق حيث يقول:

هي أنتِ من أهوى وقاتلت التي حيث الوفاء وعز منك مزار
بالأمس وقعت الحمائم بيننا واليوم هجرك والضنى يار
جنات عدن أنتِ ساعة نلتقي ولظى السعير نواك حين يدار
ولقد يقربك الخيال فأنثني لأضمه وإذا به خطار[3]

(1) ديوان الشاعر التيجاني يوسف بشير – إشراقة– مصدر سابق، ص 57.

(2) المصدر نفسه ص 57.

(3) ديوان الشاعر التيجاني يوسف بشير، المصدر السابق، ص 161.

عبر التيجاني عن حبه لفتاةٍ بعدما بادلته الحب وشبه ساعة لقائه بها بجنات عدنٍ وساعات الفراق والبعد بلظى السعير، وعندما يتخيلها ينحني ليضمها فيجد نفسه في حالة خيال وشبه لحظات سعادته معها بمياه الحب التي سرت بينهما ولكن خانت الوفاء وهجرته وذكر كلمات دالة على المعنى مثل: قاتلتي وكلمة الضنى وكلمة خطار، وخيانة الوفاء ولظى السعير نواك والهجر.

أما الحديث عن الحرمان عند جماع من الحب فنجده يقول في قصيدة له بعنوان شاء الهوى:

شاء الهوى أم شئت أنت فمضيت في صمت مضيت
أم هزّ غصنك طائرٌ وغيري فطرت إليه طرت
وتركتني شبحاً أمدَّ إليك حبي أين رحتِ
وغدوتَ كالمحموم لا أهذي بغير هواكِ أنتِ
أجر – أفر – أتوه – أهرب في الزحام يضيع صوتِ
واضيعتي أأنا تركتك تذهبن بكل صمت[1]

ويقول في بيت آخر:

في دمعـــــتي فـــي آهتي في كل شيءٍ عشت أنتِ[2]

ويقول أيضاً في قصيدة له بعنوان: أنتِ السماء:

أنتِ السماء بدت لنا واستعصمت بالبعد عنا
هلا رحمت متيماً صفت به الأشواق وهنا
وهفت به الذكرى وطاف مع الدجى مغناً فمغنا[3]

(1) ديوان الشاعر إدريس محمد جماع، مصدر سابق، ص 127.
(2) ديوان الشاعر إدريس محمد جماع، المصدر نفسه، ص 128.
(3) نفس المصدر، ص 130.

عبر جماع عن حبه لمحبوبته وتعبيره أكثره عن الحرمان الذي عاشه عندما تركته محبوبته حيث قال: شاء الهوى أم ذهبت بإرادتك وشبه نفسه بالشبح عندما تركته وشبه نفسه بالمحموم لا يشفى إلا بهواها وحُرم كذلك من النظر إلى الجمال عندما كان في المطار وشاهد عريس وعروس فغار العريس من نظراته لعروسه وحاول يغطيها من نظرات جماع وهي مناسبة القصيدة أنتِ السماء وذكر كلمات دالة على المعنى مثل كلمة شبحاً، وأجر، وأفر وأتوه أهرب واضعيتي، في أهتي، استعصمت، متيماً، عصفت، الأشواق، وهناً، هفت به الذكرى وفي رأي تعبير جماع أجود لأن التيجاني ألفاظه مباشرة.

4/ المرض:

وللتحدث عن المرض الذي أصاب التيجاني يوسف بشير فنجده يقول في قصيدة له بعنوان: فاحتفظها ذكرى، يقول:

أرأيت الصديق يأكله الداء ويشوي عظامه المحراق
مارد هذا السقام ولكن صبره الجم للضنى دفاق
جف عوده الندى فتعرى وتلفت من حوله الأوراق
وذوى قبله النضير وقد كان له في زمانه تخفاف[1]

يصف التيجاني حالته المرضية تحت وطأة الآلام النفسية والجسدية والروحية والتي ظهرت في شكل شيء من الوسواس القهري ويصف حالته المرضية وصف المرض بالداء الذي يأكله ويشوي عظامه وكان صابراً على هذه السقام صبراً متدفقاً ووصف حالته بأن جف من عوده الندى، فأصبح عارٍ من اللحم من شدة المرض وتبعثرت من حوله الأوراق وذوي قلبه الذي ينبض

(1) ديوان الشاعر التيجاني يوسف بشير، مصدر سابق، ص 159.

بالأمل وذكر كلمات دالة على المعنى مثل كلمة الداء، يشوي، المحراق، السقام، الضنى، جف، تعرى، ذوى.

وللتحدث عن حالة جماع المرضية فنجده يقول:

دجى ليلي وأيامي فضول يؤلف نظمها مأساة عمري
أشاهد مصرعي حيناً وحيناً تخايلني بها أشباح قبري
وفي الكون الفسيح رهبت سجن يلوح به الردى في كل شبر
وأحلام الخلاص تشع أنا ويطويها الردى في كل ستر
حياة لا حياة بها ولكن بقية جذوة وحطام عمر[2]

هذه القصيدة بعنوان (صوت من وراء القضبان:

يقول الأيام التي عاشها عبارة عن مأساة وان يشاهد مصرعه بعينيه ويتخيل أشباح قبره يصف حياته بأنها سجن يرى الموت فيه لحظة، وذكر كلمات تدل على المعنى مأساة – أشباح – سجن – الردى – حطام، عبر جماع عن أيام مرضه بألفاظ مباشرة تدل على صراعه للمرض، وفي رأيي أن تعبير التيجاني أجود لأنه استخدم ألفاظ تدل على المرض مثل كلمة الداء والسقام أما جماع فكانت ألفاظه مباشرة عن مرضه.

أما عن مرض جماع الذي أصابته حالة مرضية أعيا أهله علاجها وهو شرود الشاعر وغربته العقلية، حيث قال:

يقلبني الفراش على عذاب يهز أساه كل ضمير حر
تطالعني العيون ولا تراني فشخصي غيرته سنين أسر
يصم صليل هذا القيد سمعي وفي الأغلال وجداني وفكري
وأين الأمن مني من حياتي فقد فنيت وما خطبي بسر

(2) ديوان الشاعر إدريس محمد جماع، مصدر سابق، ص 86.

وتسلبني الكرى إلا لماماً يدمن حيث لا أدري وأدري[1]

هذه القصيدة لجماع بعنوان: (صوت من وراء القضبان).

وقال في أبيات أخرى من نفس القصيدة:

ينازعني الحياة وفي ضلوعي هوى ضجت به خفقات صدري
وأيامي تساقط من حياتي كأوراق ذوت والريح تذري
تطامن دوحها وهوى مكباً وأجفل عنه تيار بنهر[2]

جماع لا يشكو دائماً، وإنما هي لحظات غير باقية تمر مسرعة وهو يتغلب عليها بروحه الفني وإيمانه القوي، وصبره الجم الوفير، فتبسم وتغرد مشاعر ليأخذ حظه من دنيا السرور، وفي رأيي أن جماع استخدم ألفاظ معقدة ليعبر عن مرضه وذكر كلمات دالة على الحزن (أساه – أسر – القيد – خطب) "غير واضحة".

وفي رأيي أن للحزن أسباب كثيرة عند الشاعرين التيجاني يوسف بشير وإدريس محمد جماع.

5/ وصف الشاعران لنفسهما وحياتهما والمقارنة بينهما:

التيجاني في وصفه لدنياه استخدم ألفاظ واضحة معبرة عن حياته المليئة بالأحزان فهو يعتبرها أغلى من الذهب وأسمى من المال حيث قال:

ما بي من ثراؤك من ذخر ولا مال فاستبقي دنياك حسبي كنزل أمالي
ما بي شقيت وما بي أن نعمت وما بالقلب زهو الفتى أو رقة الجمال
دنياي وهي من الدنيا على نفس أثرى من التبر أو أسمى من المال
وهبت للناس من جنيا مطامعهم ما عندها لي من نعمى وإقبال

---

(1) ديوان الشاعر إدريس جماع – لحظات باقية، مصدر سابق، ص 87.

(2) المصدر نفسه، ص 88.

فليتركوا لي أحلامي وما نسجت حولي من الضنك أن لم أفطر على حال[1]

شبه التيجاني دنياه بالذهب عندما ذكر كلمة التبر، ويقول أن دنياه بجامع الغلاء في كلٍ بما أن دنياه واجه فيها بعض الضنك أي المشقة في حياته ويصفها بأنها غالية الثمن برغم حزنه في حياته.

إدريس جماع يصف لحظات حياته ويقول:

لحظات الحياة لحن يغنيه على خط الأزمان
غير أني لا أسمع اليوم إلا نغماً في متاهة الأحزان
ونماء الورود عندي كالأزهار حول التابوت والأكفان
جف عن نفسي الندى وتلمست هشيماً من ذابلات الأماني
وينابيع قوتي لم تزل تزخر تحت الهجير بالجريان
لتعيد الصفو الندي بنفسي وتغذي منابت الريحان
ولتسري فيها النضارة كالنشوة تحيي الحياة في الإنسان[2]

جماع يصف دنياه أي حياته بألفاظ معقدة حيث يقول لحظات حياته لحن يتغنى به شعوره على الأزمان ولا يسمع منه لا نغماً في متاهة الأحزان وشبه الورود بالأزهار التي تنمو حول التابوت والأكفان، والأكفان هنا جمع كفن وهو ما يغطي به الميت ويقول جف الندى عن نفسه وهو إن دل إنما يدل على انعدام الأمل في نفسه لنيل الأماني ورقم ذلك في داخله ينابيع لم تزل تمتلئ بالآمال تحت الظروف الصعبة بالجريان والينابيع مفردها ينبوع وفي رأيي التيجاني في وصفه لدنياه استخدم ألفاظاً واضحة بخلاف ألفاظ جماع في وصفه لحياته.

---

(1) ديوان الشاعر التيجاني يوسف بشير، مصدر سابق، ص 101.

(2) المصدر السابق، ص 118.

يقول التيجاني في وصفه نفسه:

هي نفسي من الندى قطرات لم تنلها يد الزمان بخلط

هي في صفحة الشباب قوى تذخر بالحب أو تموج بسخط

هي قسطي من السماء فما يع في العالم الترابي قسطي[1]

يعبر التيجاني عن نفسه فيصفها بقطرات من الندى ولم يأخذ منها الزمان بخلط ويقول نفسه مليئة بالحب وهذا يدل على أن التيجاني شاعر عبقري يشبه نفسه بتشبيهات مختلفة تارةٌ قطرات من الندى وتارةٌ قوى تذخر بالحب وتارةً قوى في صفحة الشباب وفي رأي إن دل هذا إنما يدل على عبقرية الشاعر وقدرته.

وجماع يقول عنه نفسه:

عندما تصدأ نفسي أجتلي وجـه الطبيعة

أقيس الفن وأبغي نشوة منها رفيعـــة

لحنها لحني من الفجر وأحضـــان مريعة

وأهازيج رياح عاصفـــــــات ووديعة

شاركتني هذه الأكوان أفراحي وحـــــزني

في هنائي يحتسي العالم من نشوة دني

أرمق الدنيا فألقي بسمتي في كل غصن

وإذا أظلم إحساسي وننال الحزن مني

شاعر من نفسي شحوب وسرى في كل كون

مثلما تمتد للروض هناءاتي وبؤسي[2]

(1) ديوان الشاعر التيجاني يوسف بشير، إشراقة، مصدر سابق، ص 153.

(2) ديوان الشاعر إدريس محمد جماع، لحظات باقية، مصدر سابق، ص 19.

ويقول مرة أخرى:

وإذا ما زحمت نفسي شجون طاغية

وترامت كالســـيول انفلتت من رابية

والتقى عارمة جياشة في هـــــاوية

فعزيفي هو أصداء شجــون عاتية[1]

يصف جماع الحزن عندما يعتريه تصاب نفسه بالشحوب وخاصة عندما يصاب إحساسه بالظلام ويحاول أن ينظر إلى الدنيا ببسمة في كل مكان وعندما تصدأ نفسه يلجأ للطبيعة التي تشاركه الأفراح والأحزان، وهنا جعل الطبيعة شيء محسوس والأكوان عندما جعلها تشاركه.

وفي رأيي أن التيجاني وحديثه عن نفسه أسلوبه كان جزل وألفاظه واضحة، أما جماع فاستخدم ألفاظ معقدة وبذلك اختلف الشاعران في التعبير عن النفس وهذا يدل على أن كلٌ من الشاعرين لهما القدرة على صياغة التعبير والعبقرية.

تحدث التيجاني عن الأمل حيث قال:

أمل ميت على النفس الحدث له من كلاءة الله قبرا

زهقت روحه وفاضت شعاعاً قبلما ينفذ الطفولة عمرا

كنت أحيا على ندى منه يساقط برداً على يدي وعطرا

في ظلال مظلولة أفرغ الشعر عليها من الهناءة فجرا

ثم أودى يا ويحة ضاقت الدنيا به جهدها احتمالاً وصبرا

بعدما نضر الحياة بعيني مضى جاهداً وأعقب أسرا

أملي في الزمان مصر فحيا الله مستودع الثقافة مصرا

---

(1) المصدر نفسه، ص 18.

نضر الله وجهها فهي ما تزداد إلا بعداً عليّ وعسرا[1]

عبر التيجاني عن الأمل بألفاظ غير واضحة معقدة حيث قال: أن الأمل عنده أصبح ميتاً ودفنه في لحد أي في قبر من صغره ويقول كان يعيش ويحيا على ندى من أمله الذي تساقط على يديه برداً وعطراً، حيث ضاقت الدنيا بأمله أمله الذي جعل حياته نضرة مخضرة بعينيه حيث مضى جاهداً وكان أمله الذهاب إلى مصر حيث قال أملي في الزمان مصر ويعتبرها مكمن الثقافة أي مستودعها ويقول أصبحت بعيدة عليه عسراً حيث لم يتمكن الوصول إليها.

وفي رأيي التيجاني استخدم ألفاظاً معقدة للتعبير عن أمله في الذهاب لمصر لينهل من ثقافتها وعلومها وكان معبراً عن حزنه.

يقول جماع عن الأمل:

أملي وهبت لي الحياة وكنت في سجن الألم
أطبق حناحك قد بلغت فهذه أرض الهرم
حلقت بي متهادياً وبدت رؤى لهذا الحرم
وأراك تجري في الشعور وتستحيل إلى نغم
وبدا صباح فيه تمتزج الحقيقة والحلم
وتحجبت عني الحياة بعيدة حتى ابتسم
لم يدنها شعري ولا لهب بجني اضطرم[2]

عبر جماع عن الأمل بألفاظ واضحة حيث قال: عندما كان على متن الطائرة التي أقلته إلى القاهرة، وقال كان أمنيته في الحياة الذهب لمصر بعد ما كان في سجن من الألم ويقول بدأت الأنغام تسري في حياته بعد الألم وفي رأي

(1) ديوان الشاعر التيجاني يوسف بشير، إشراقة، مصدر سابق، ص 54.

(2) ديوان الشاعر إدريس محمد جماع، لحظات باقية، مصدر سابق، ص 65.

اختلف الشاعران في التعبير بالألفاظ عن الأمل والاختلاف أن جماع سافر لمصر ولم يسافر التيجاني.

وعن شفافية النفس قال التيجاني يوسف بشير يصف حاله في هذه الدنيا في قصيدة الأدب الضائع، فيقول:

يا أديباً مضيماً من بني الدنيا بحسب الأديب محض انتجاعه
أنت يا رائد القريض ما أنت بسقط الورى ولا من رعاعه
أنت قيثارة الجديد بك استظهر من في الوجود سر متاعه
أدب ملؤه الحياة وشعر مفعم بالسمو في أوضاعه
ضاع: ويح الذي يغار على الشعر وويح الأديب يوم ضياعه[1]

والشاعر التيجاني شانه في ذلك شأن كل الشعراء الذي حملوا على ذواتهم فلسفة هذا الكون، فهو لم يفارق الحياة إلا حينما فارق الشعر فراقاً مأساوياً، كانت النهاية فيه تأويلاً مكثفاً للحياة والموت والحقيقة برؤية شعرية كشف عن عالم شديد الحساسية، عالم مهجوس بسؤال فلسفي، نظام لروحية إبداعه الخاص، الذي ينجذب دائماً من سطح النص إلى أعماق يتأمل فيها الحياة بأسئلة حارقة وغير نهائية[2].

وفي رأيي أن التيجاني وصف نفسه بالأديب الضائع وذكر كلمات دالة على المعنى (مضيعاً – ضاع – ضياعه) وهي كلمات تدل كذلك على الحزن.

وعن الشفافية قال جماع في قصيدة بعنوان: (إني لأعجب):

---

(1) ديون الشاعر التيجاني يوسف بشير – إشراقة– مصدر سابق، ص 47.

(2) الشاعر السوداني التيجاني يوسف بشير – محمد جميل أحمد، إلى أحمد عبدالمطلب، قراءة استعادية: الرابط: www.almiyadh.com

عجبا أتحمل الحياة برغم أشتات الصور

ورحابها تبدى الجمال جمال نفس أو بصر

والفكر والإبداع والفن الخصيب المبتكر

والحب والأحلام نشوى والأغـــــاني والسمر

وبها النضارة والندى والنهر يهدر والزهر

من ليس في جنبيه إنســـــــانية بين البشر

حقد على الإنسان في جنبيه عشت وانتشر

ويعيش محســـــــوباً عليه إنها إحدى الكبر

ولقد يتيه بعيشـــــــــــه بين المزالق والحفر

نبع الحياة يفيض سمحاً بالشعور وبالفكر[1]

رغم من شفافية جماع ونفسه الحساسة لكنه يتحمل الحياة بصورها المختلفة بما فيها من أحزان ومآسي وحرمان ويعيش الشاعر الجمال في نفسه ويقول جمال النفس بها النضارة والندى والإنسان يتوه بين مزالق الحياة وأعماقها الحياة بالنسبة له هي نبع يفيض سمحاً بالشعور الجميل وبالفكر، وقال في قصيدة أخرى بعنوان (طريق الحياة):

نمشي على الدرب الطويل يطيب لنا مدى

إن الحياة بسحرها نغم ونحن لها صدى

من مات فيه جمالها فمقامه فيها سدى

(1) ديوان الشاعر إدريس جماع – لحظات باقية، مصدر سابق، ص .

وفي رأيي أن جماعاً رغم المعاناة التي وجدها في حياته فهو متفائل ويقول أن الحياة له سحر ونغم ونحن لها صدى ومن لم يشعر بجمالها ويعيشه فحياته ضائعة.

وعن شفافية النفس يقول التيجاني يوسف بشير في قصيدة له بعنوان (قطرات):

قطرات من الصبا والشباب الغض، منسابة به منساقة
ورهام من روحي الهائم الولهان أمكنت في الزمان وثاقه
ظل يهفو إلى السماء ويشكو لوعة الروح ها هنا واحتراقه
يتحدر من معابد أيا مي حنيناً أسميته (إشراقة)[1]

يشعر القارئ وهو يقرأ مثل هذا المقطع، أن الشاعر يكرع من كأس التماهي مع الذات في تأملاتها في الوجود، وكأنه في صراع مع نفسه وهو يحاول أن يسمعنا تأوهاته من ذاته الولهانة، وذلك في مقاومتها للزمان ومعاناته التي تسري في أوصاله، فحين يشكو لوعة الروح يسكن الكون في إيقاعاته الذابحة من شدة الأسى الذي يقطع فلذات من أعماقه من المدى المنشود في حنينه الذي أسماه (إشراقة) الدالة على الاحتمال المأمول، وهي صورة للوجه الآخر، للظمأ[2].

وفي رأيي أن الشاعر يعبر عن مقاومته للزمان يسمى أيام حنينه بإشراقة بألفاظ دالة على المعنى الحزين المباشر، الكلمات متمثلة في كلمة (الولهان – يهفو – احتراقه).

وعن شفافية النفس يقول إدريس جماع في قصيدة بعنوان (من دمي):

---

(1) ديون الشاعر التيجاني يوسف بشير – إشراقة– مصدر سابق، ص 8، 9.

(2) النزعة الصوفية في الشعر العربي المعاصر، محمد مصطفى هدارة، مجلة فصول، ع4، 1981م.

من دمي أسكب في الألحان روحاً عطره

ورؤى النفس وأنواء الأمـــــاني النضره

وشجوني وحياة بالأسى مســــــــتعرة

خلق الزهـــرة تفني لتعـــــيش الثمرة

تذهب الساعات من عمري قرباناً لفتى

أتبع الموجة طرفي ولها أرهـــف أذني

انطباع الهر في الغدران يستوقف جفني

وانتفاضات جناحين على أوراق غصن

ولقد أصيح في النغمة من كون لكون

هبة للفن دنياي وروحـــــي غير أني

هل سألت الزنبق الفواح عن سر العبير

مثله أرسل شعري إنه فيض شعـــوري

إنه أهات أحزاني وأنغام ســــــــروري

إنه النفاس روحي واختلاجات ضميري

وجد الشعر مع الإحساس في أولى العصور

هو في الدنيا مدام عتقت منذ دهور[1]

يعبر الشاعر جماع عن رهافة الحس حيث يسكب دمه في الألحان بروحٍ عطره بما أن حياته بالحزن والأسى مستعرة وكأنه يفني نفسه لتعيش بعد الأجيال، في أمان، ويقول وهب نفسه للفن وروحه.

استخدم جماع الكناية في هذه القصيدة شبه نفسه بالزهرة تفنى لتعيش الثمرة وشبه الأجيال القادمة بالثمرة وشبه شعره بالعطر الفواح واستخدم ألفاظ

---

(1) ديوان الشاعر إدريس جماع – لحظات باقية، مصدر سابق، ص 17-18 .

واضحة دالة على الحزن حين قال – أهات – أحزاني – شجوني – الأسى، وفي رأيي أن جماع استخدم التشبيه والألفاظ الواضحة.

وعن شفافية النفس يقول التيجاني يوسف بشير في قصيدة له بعنوان: (الأدب الضائع).

أنا إن مت فالتمسني في شعري وتجدني مدثراً برفاعه
في يميني يراع نابغة الفصحى وكل أمي رهين يراعه
وعلى مضجعي نثار من غضّ مقدس في بقاعه
شرته في صباي من وضح ومن بهرج الضحى وخداعه
وعلى هامتي أكاليل سحبان وفي شرتي أداة مضاعه[1]

لقد أمتد الوجع يصارع حياة الشاعر، هذا الوجع الذي أصبح يوازي صوته، وينقل حسه الباطني واستيهاماته، كان يسير في تيه وضلال، الأمر حوله وكأنه يعيش عالماً غريباً عنه وهذا دليل على اتساع ثقافته.

وفي رأي أن التيجاني استخدم في هذه القصيدة ألفاظاً مباشرة وليس غريباً أن يكون شعر التيجاني بهذا المستوى من الحس المفعم بأصداء الحزن، فالتيجاني الذي ظل يمارس ضغطاً متواصلاً لمأزقه الوجودي في بيئة شديدة المحافظة، فجر في الشعر تجربته بلعبة لغوية أبدعت جدلاً جمالياً، صاغ فيه أسئلة الوجود والعدم دون أن يحيلنا إلى كد ذهني، بل أنطوى على شفافية وتماسك نسخ المسافة الوهمية بينه وبين نصه، حتى قال في وقت مبكر ما يشبه الوصية في بيت شعر له في نفس هذه القصيدة .

وعن شفافية النفس يقول جماع في قصيدة له بعنوان (لوعة متجددة)

(1) ديون الشاعر التيجاني يوسف بشير – إشراقة– مصدر سابق، ص 46.

ليالي أمواج تمر فإن دنت من الشط لاشت مدها آهة حرى
ذوى حاضري حتى رؤى النفس وانقضت مباهج أيامي فألحدتها قبرا
وها هي أيامي تباعاً تشابهت السوسن بها صور البلوى إذا اختلفت قدرا[1]

وقال في قصيدة أخرى بعنوان (لحظات الحياة):

هي نفسي من الطبيعة الناس وممزوجة مع الأكوان
ليس هذا الوجود عندي أشكالاً ولكن مشاعر ومعاني
والحياة الحياة أن أرمق الدنيا وأمشى كالجدول النشوان
تارة صاخباً وحيناً أغني في صفاء مسلسل جذلان
ناعم النفس دائباً في جهاد العمر كالنحل في ارتشاف المجاني[2]

يصف جماع أيام حياته بالأمواج وعندما تقرب من الشط انتهت ويقول حاضري ضاع والبهجة في أيامه قد دفنها ويقول أيامه تشابهت بالبلاء واختلف القدر تلك النفس الحساسة ذات المشاعر ويشبه نفسه بالجدول النشوان متقلب الآراء والأحوال، وفي رأيي أن جماع استخدم التشبيه في وصفه لنفسه حيث شبهها بالنحل والنهر واستخدم كلمات تدل على الحزن (لاشت – آهة – ذوى – انقضت – قبرا – البلوى – قدرا).

وفي رأيي أن المحور الأساسي في حياته وهو الفقر الذي عاشره الشاعر والذي جعل الحب في ناظريه ترفاً إذا ما استصحبنا معنا أنفة الشاعر وترفعه عن أن ينزلق بنفسه في مهاوي المقارنة بين وضعين اجتماعيين وكان واضحاً ذلك في قوله في قصيدة له بعنوان (هوى وفقر):

وحسبي لا أثريت منها وأنني ليصرف نفسي عن نضاركم شغل
وهل أن ما أسمو نضاراً وفضة وما كاثروا الدنيا به وهم قل

(1) ديوان الشاعر إدريس جماع – لحظات باقية، مصدر سابق، ص 82.
(2) المصدر نفسه، ص 118.

وما هموا فيه الزمان ولم يزل يقدس من رحمانه العلم والجهل؟
سوى الترب واطأنا سوانا فصكه دنانير لم يأخذ بناصرها العدل؟
ضللنا وسايرنا خدعاً وبهرجاً ونكب عن نهج الحقيقة من ضلوا؟[1]

فنمو الحب في البيئات الفقيرة يكون دائماً مشوباً بالتوجس الدونية خصوصاً إذا كانت المحبوبة من طبقة غير التي ينتمي إليها أي إنسان، وفي هذه القصيدة يوضح الشاعر نظرته لهذا العالم.

وعن الحب عند جماع، حيث قال في قصيدة بعنوان: (يا ملاك):

قوم يا ملاك الدنيـــــا ليل ** نتناجى في الشاطئ الجميل
الليل نهار العاشقين
تتجلى صورتك في السحر ** بين الكواكـــــب والقمـــــــر
معكوسة في سطـــح النهر ** متعتنا فـــــــي الحب النظر
وحديثنا بلغة العيون
نتناجى بما منى العهـــــود ** آه العهـــــود لو كان تعود[2]

يعبر جماع عن شوقه لمحبوبته أن تجلس معه على الشاطئ ويتخيل صورتها في السحر وبين الكواكب والقمر ومعكوسة داخل الماء وسط النهر ويصف كلامه معها كان بالعيون ويقول آه الارتباط والالتزام لو كان يرجع لترجع أيامه الجميلة أيام الحب وفي رأيي استخدم جماع التشبيه وذكر ألفاظ تدل على الحزن (آه).

وعن الحياة السياسية والاجتماعية يقول التيجاني يوسف بشير في قصيدة له بعنوان: (دنيا الفقير) حيث قال:

---

(1) ديوان الشاعر إدريس جماع – لحظات باقية، المصدر نفسه ص 145-146.

(2) ديوان الشاعر إدريس جماع – لحظات باقية، مصدر سابق، ص 131.

تعالي معي زهرات الخريف إلى الكوخ أفلت منه الربيع[1]

وفي أبيات أخرى من نفس القصيدة يقول:

بنفسي من هان حتى تواضع في نفسه كل معنى رفيع
مشى خاشع الطرف رث الثياب كئيباً كثير مرائي الخنوع
تأكله حسرة في الضمير وتسحقه خيبة في الضلوع
يبين عليه انكسار الفؤاد ومسكنة المستذل الوضيع
وفي نفسه ظمأ للعطور وفي روحه حرقات وجوع
ينام على وله بالثراء ويصحو على نسمات الهزيع
فيرفع كفيه نحو السماء ويضرع وآهاً له من ضريع[2]

وإذا كان التيجاني يعي ما يكتب؛ فلأنه يحس بمعانقة أحزان "ثورة الحياة" حيث لعبت دوراً مؤثراً في تكوين تجربة الشاعر المتفردة في الأدب العربي والسوداني على وجه الخصوص، وقد أظهرت قسوة الحياة هذه، طاقة كامنة من الإحساس بالغربة، هيأتها عوامل كثيرة أثرت في اتجاهه الشعري، مثل شعوره بالحرمان بكل أبعاده ومعاناته، وفقره الذي كان يحسه إحساساً عميقاً، بالإضافة إلى الظروف السياسية والاقتصادية والفكرية الصعبة التي كانت تحيط بوطنه، والتي بلا شك هي عوامل مؤثرة على نفسه الحساسة الشاعرة[3].

وفي رأيي أن التيجاني استخدم التشبيه في كلمات دالة على معنى الحزن (حسرة – انكسار).

---

(1) ديوان الشاعر التيجاني يوسف بشير – إشراقة– مصدر سابق، ص 44.

(2) المصدر سابق، ص 44.

(3) النزعة الصوفية في شعر التيجاني يوسف بشير ولطفي أمان – مبارك حسن الخليفة – مجلة آداب [كلية الآداب – جامعة الخرطوم]، 204، ديسمبر 2002م، ص 75–76.

المرض الذي أصاب شاعرنا التيجاني يوسف بشير كتب عنه في قصيدة بعنوان: (فاحتفظها ذكرى) يقول:

يا أنيس الحياة يقطر منك الطيب نبلاً وتعبق الأخلاق
نفسك الحلوة الحبيبة للنفس عليها من السنا أنماق
هي دنيا للصالحات موشاة بما يرتضي وما يستراق
في حواشيها وفي مستواها ينبت الورد والندى البراق
أشربت في الصبا النعيم فشبت وعليها من النعيم ائتلاق[1]

سيطر داء الصدر على التيجاني، الفتى النحيل، فجعل ذلك حاجزاً بينه وبين عالمه وأصدقائه وانطوى على نسه في آخر سنين عمره وفي رأيي هذه القصيدة تدل على حزن الشاعر الذي لازمه طيلة أيام مرضه وتشير هذه القصيدة إلى قمة استسلام النفس المقاتلة والطموح، وفي ثناياها وجعات شاعرنا من المرض الذي أقعده عن مواصلة مشواره الكادح في التثقيف ونشر الفنون والنهوض بالمجتمع من وهدته؛ استخدم الشاعر ألفاظ مباشرة ليعبر عن مرضه.

وجه الشبه بين التيجاني وإدريس في الحزن متقارب وكذلك حبهم لمصر، حيث أراد التيجاني الذهاب لمصر وحرم من السفر إليها بأمر من والده وقال في قصيدة له أسماها (ثقافة مصر):

كلما أنكروا ثقافة مصر كنت من صنعها يراعاً وفكرا
جئت في حدها غرار فحيا الله مستودع الثقافة مصرا
نضر الله وجهها فهي ما تزداد إلا بعداً عليّ وعسرا[2]

(1) ديوان الشاعر التيجاني يوسف بشير – إشراقة– مصدر سابق، ص 158.
(2) المصدر سابق، ص 118.

هذه القصيدة تعبر عن عواطف الشاعر نحو مصر وحنينه إليها وتعبر عن أفكار الشاعر السياسية ومدى ارتباط مصر والسودان في التاريخ الماضي والحاضر وفي رأيي استخدم الشاعر ألفاظ مباشرة وواضحة.

والرأي الآخر عن سفر التيجاني لمصر كان أمله في النزوح لمصر لم يتحقق فقد كان الاستعمار يضع العراقيل دون أمثاله من الشباب، ولم يكن من مصلحة الاستعمار أن يسمح له بورود مناهل العلم في مصر والاقتباس المباشر من حركتها التحريرية القوية، فانتهى أمله إلى يأس صور مرارته في هذه الأبيات[1]:

أمل ميت على النفس له من كلاءة الله قبرا
زهقت روحه وفاضت شعاعاً قبلما ينفد للطفولة عمرا[2]

تحطم هذا الأمل الوحيد له، واضطر إلى البقاء في السودان بأحواله السيئة، وفي رأيي استخدم التيجاني ألفاظ غير واضحة ليعبر عن حرمانه من مصر.

يقول جماع عن سوء حظه:

إن حظي كدقيق فوق شوك نثروه ثم قالوا لحفاةٍ يوم ريحٍ أجمعوه
فصعب الأمر عليهم قالوا اتركوه فهل من أشقاه الله أنتم تسعدوه[3]

وجماع أيضاً يميل بحكم ثقافته العربية والإسلامية إلي الشقيقة مصر كأغلب شعراء جيله فذاك التيجاني وهو من صنعها يراعاً[4].

---

(1) الاتجاهات الشعرية في السودان – محمد النويهي – محاضرات القاها محمد النويهي على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية، 1957م، ص.

(2) ديوان الشاعر التيجاني يوسف بشير – إشراقة– مصدر سابق، ص 119.

(3) ديوان لحظات باقية، مصدر سبق ذكره.

(4) اليراع جمع يراعه، وهو قصب يتخذ منه الأقلام (المراجع).

وسبب حزن جماع في السفر لمصر، فقد سافر إلى مصر للدراسة، وعند رجوعه كانت عليه آثار المرض، وبعدها سافر للعلاج مرتين وأوضح أنه رجع من مصر غير طبيعي، وكانت بعد ذلك رحلة علاجه المتواكبة مع وفاة والده التي كانت عام 1956م ورجع على غير ما عهدوه[1].

في رأيي أن جماع ألفاظه غير واضحة في التعبير عن مرضه.

توالت النكبات على التيجاني مما جعله يتلمس عزاءه في البحث وقراءة من سبقوه من الشعراء، فالتيجاني ذو ثقافة واسعة استهوته شخصية شاعر كان مصدر إلهامه ومواساته في آلامه التي تشابه آلام التيجاني وبعده إدريس جماع وقبله المعري الذي تأثر به التيجاني في كثير من أرائه[2].

إن الأزمات والأحزان التي مر بها التيجاني شبيهة بالأحزان التي مر بها إدريس فكل منهما تعرض للمرض فالتيجاني أصيب بداء الصدر – السل – وكان العلاج له غير متوفر في السودان في ذلك الوقت ومرض إدريس وعجز الطب عن علاجه وشخصت حالته بأنه أصيب بانفصام، وكل منهما تعرض لعدم الوفاء من بنات حواء، فالتيجاني لا تذكر له محبوبة وإدريس غدرت به المرأة التي يحبها، حاول أهل إدريس تزويجه لكنه رفض لأنهم أحسوا من كتابته شعره أنه يحتاج إلى بسمة تنور حياته، وكل منهم أصيب بفقدان الثقة بالآخرين وفي من حولهم.

ومن الأشياء التي جلبت الحزن للتجاني أنه يصل إلى أعلى درجات الثقة بالعقل وما يجلبه من أفكار، ولكن الفلاسفة هم الذين يقرون هذه الحقيقة، بل يعيشون في ضوء يقينها الجوهري، ويقول في قصيدة أنبياء الحقيقة:

---

(1) دراسات في النفس الإنسانية، ص 316.

(2) مصطفى غالب أبو العلاء، في سبيل موسوعة فلسفية – دار الهلال – 1988م، ص 50.

كم قتيل من الفلاسفة الأولى وكم أشعث هناك وأغبر
كتب الحق في صدورهم رمزين من آية الخلود وسطر
أنبياء من الحقيقة أيديهم مشاعل الله مسهر[1]

إن عدم الثقة التي أجتاحت التيجاني في ثقته بالعقل كانت أقل قوة والتيجاني يعترف بأن أزمته كانت جناية على نفسه بنفسه لأنه جري وراء العقل فاستطاع أن يرميه في شباكه فالتيجاني رفع علم الشك عندما ما ودع يقينه الذي عبر عنه في قصيدته (ودعت أمس يقيني) يقول:

مضي بك العقل لم تسعد به أثراً واعتادك الشك إذا ضاقت بك النوح
ودعت أمس يقيني في موأدة غبراء تعصف في أعمالها الريح[2]

وفي رأيي أن التيجاني تعبيره واضح عن حزنه في حياته.

(1) ديوان الشاعر التيجاني يوسف بشير – إشراقة– مصدر سابق، ص 17.
(2) المصدر السابق، ص 20.

خلاصة الفصل الثالث:

معنى حزن: الحزن نقيض الفرح وهو الغم والهم واصطلاحاً هو غمٌ يلحق من فوات نافع أو حصول ضار، والحزن ظاهر في أشعار السودانيين ومنهم التيجاني.

ولد التيجاني في مدينة أم درمان حي الركابية يوم الأربعاء 28 فبراير 1912م الموافق 15 ربيع الأول 1333هـ.

أمه نور الشام بابكر محمد علي أحمد من قرية العالياب ووالدها من جنود المهدية. ووالده يوسف بشير ابن بشير الفقيه بشير جذري بن قليمة بن علي، يتصل نصبه إلى العباس بن عبدالمطلب وهو ينتمي إلى قبيلة الجعليين.

وهو شاعر الرومانطيقية الأول في الأدب السوداني المعاصر، دخل الخلوة وحفظ القرآن في عمر خمس سنوات وألتحق بالمعهد العلمي.

أغراض الشعر عنده متعددة. ومن أسباب الحزن عنده (فصله من المعهد العلمي بتهمة الكفر – المرض وحرمانه من السفر لمصر – التشاؤم).

ولد جماع بحلفاية الملوك عاصمة العبدلاب عام 1922م والده الشيخ محمد بن الشيخ ناصر بن الشيخ الأمين، ينتهي نسبه لأحد الأسر العريقة التي أسست مملكة الفونج.

قرض الشعر وهو صغير، ألحق بخلوة الفقيه محمد نور إبراهيم ثم ألحق بمدرسة حلفاية الملوك الأولية سنة 1936م تأثر بالشعراء المهجريين له أغراض متعددة من الشعر منها الغزل والمدح.

من أسباب الحزن عند جماع (نقل من التدريس من الثانوية للوسطى – المرض – انفصال والديه أبدياً).

توفى يوم 1980/3/24م ودفن في الصوارد بحلفاية الملوك.

الخاتمة:

الحمد لله الذي أعانني على إكمال هذه الدراسة التي حاولت فيها الوقوف على أسباب الحزن عند الشاعرين من خلال أشعارهما وقد خرجت الدراسة بنتائج أهمها:

1/ أحب الشاعران العزلة؛ لإصابتهما بالمرض الذي كان له أثر في تلوين حياتهما بالحزن.

2/ الميول الفلسفية صبغت شعر التيجاني وهو أمر يخلو منه شعر جماع.

3/ بيّن التيجاني كل أسباب حزنه في شعره، بينما لم يبين إدريس محمد جماع كل أسباب حزنه في شعره، بل أشار إليها بصورة عامة.

4/ تأثر إدريس جماع بالشعراء المهجريين وتبين بصماتهم في شعره فكثير من صفاتهم تتجلى في شعره بوضوح فشعره في القلق والإشفاق والحنين نرى عليه ظلالاً مهجرية

5/ أهم ما يميز شعر جماع هو إحساسه الدافق بالإنسانية وشعوره بالناس من حوله واهتمامه بقضايا بلاده ولاسيما السياسية.

6/ ظهور الحزن بكثرة مفرقة في شعر جماع أكثر من التيجاني سببه طول حياة الشاعر.

التوصيات:

أوصي بمزيد من الدراسات حول الشاعرين (حياتهما – شعرهما ... الخ) لأن المكتبة السودانية تكاد تخلو من الحديث عن هذين الشاعرين الكبيرين في بعض الجوانب.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

الكتب:

1/ إبراهيم التكينه، التيجاني يوسف بشير أضواء على حياته وشعره، دار الآداب أم درمان، ط1، نوفمبر 1975م.

2/ أبو العلاء، لزوم ما يلزم، 1961م،– دار بيروت للطباعة والنشر، 1961م، مج1.

3/ أحمد البدوي، التيجاني يوسف بشير، الخرطوم دار الكتب، 1980م

4/ إدريس محمد جماع (1998م) لحظات باقية، ط2، الخرطوم، دار البلد للطباعة والنشر والتوزيع.

5/ إدريس محمد جماع، ديوان لحظات باقية، دار الفكر للطباعة والنشر جامعة الخرطوم، ط3، 1984م

6/ التيجاني يوسف بشير، ديوان إشراقة دار الجيل بيروت، 1972م

7/ التيجاني يوسف بشير الشاعر السوداني، دراسة نقدية، تجربته الشعرية، بدر الدين هاشم، دار النشر للمطبوعات العربية للتأليف والترجمة، ط1، (ب.ت).

8/ الجرجاني، عبدالقاهر دلائل الإعجاز، تعليق أبوفهر محمد محمد شاكر (ب.ت)

9/ حسن نجيلة – ملامح من المجتمع السوداني، ط4، الدار السودانية للكتاب – 1942م، دراسات في شعر التيجاني قدمت بمناسبة المهرجان الأول الذي أقيم للشاعر بمناسبة مرور 25 عاماً على وفاته، ط1، 1382هـ – 1962م

10/ عادل أحمد الزبير – إدريس جماع حياته من شعره – ط1 – الخرطوم – دار آفاق الحاسوب، 2005م.

11/ عبده بدوي (1981م). الشعر في السودان، الكويت عالم المعرفة.

12/ عبد المجيد عابدين، التيجاني شاعر الجمال، ط3، 1962م.

13/ عزالدين الأمين – نقد الشعر في السودان حتى بداية الحرب العالمية الثانية – دار جامعة الخرطوم – مطبعة جامعة الخرطوم – ط1 – 1420هـ – 1999م.

14/ علاءالدين كفافي – الصحة النفسية، أستاذ الصحة النفسية المشارك، جامعة القاهرة، كلية التربية، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط2، 1987م.

15/ حلفاية الملوك التاريخ البشر، قاسم عون الشريف، دار جامعة أم درمان الإسلامية للطباعة والنشر، ط1 ، 1988م

16/ محمد حجاز مدثر ، الشاعر السوداني إدريس – حياته وشعره – الخرطوم، الدار السودانية للكتب، 1984م.

17/ محمد عبد الرحيم، نفثات اليراع في الأدب والتاريخ والاجتماع، الخرطوم شركة الطبع والنشر، ط1، 1936م

18/ محمد محمد علي – محاولات في النقد – الخرطوم – مطبعة التمدن – 1985م

19/ محمد مصطفى هدارة، النزعة الصوفية في الشعر العربي المعاصر، مجلة فصول، ع4، 1981م.

20/ مصطفى غالب أبو العلا – في سبيل موسوعة فلسفية – دار الهلال – القاهرة – 1988م.

21/ هنري رياض – التيجاني يوسف بشير –شاعراً وناثراً – دار الثقافة – بيروت – ط1– (ب.ت).

الرسائل العلمية:

1/ جادالله الطاهر النذير – التيجاني يوسف بشير عصره وحياته وشعره – رسالة ماجستير – جامعة الخرطوم 1973م

2/ حبيب الله محمد سليمان – شعر الطبيعة في ديوان لحظات باقية لإدريس جماع – رسالة ماجستير – إشراف د. آسيا محمد وداعة الله –2014/9/14م.

3/ حليمة البشير يوسف – التيجاني يوسف بشير ناثراً – رسالة ماجستير – إشراف د. هاشم ميرغني الحاج – 1429هـ – 2008م

4/ عبدالقادر الشيخ إدريس أبوهالة، (1990م) إدريس محمد جماع، حياته وشعره، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية الآداب – جامعة الخرطوم، الخرطوم.

5/ عبدالنبي عبدالله جمعة عرمان، (2009م) – الصورة الفنية في شعر إدريس محمد جماع – رسالة دكتوراه – إشراف د. بله مدني – جامعة أم درمان الإسلامية.

6/ الحبر عبدالوهاب أحمد علي – بناء الجملة وأثره الدلالي في شعر إدريس جماع – رسالة ماجستير – إشراف محمد علي أحمد – جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

7/ الجانب الإنساني في شعر إدريس محمد جماع، رسالة ماجستير في الأدب والنقد، إعداد الطالبة مارلين عوض الله الحسن، إشراف د. عباس بشير عباس أم درمان الإسلامية 1997م

8/ محمد زين العابدين محمود – الشعر السياسي وأثره في الحياة الفكرية في السودان – إشراف د. الحبر يوسف نور الدائم ومحمد داؤود

9/ منال أحمد محمد الطيب – المرفوعات في شعر التيجاني يوسف بشير، إشراف د. علي الريح جلال الدين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، 1429هـ – 2008م.

المواقع الإلكترونية:

1/ محمد جميل أحمد، إلى أحمد عبدالمطلب، الشاعر السوداني التيجاني يوسف بشير –قراءة استعادية: الرابط:
www.almiyadh.com

فهرس الأشعار:

البيت	الشاعر	الصفحة
أحبك حبين ليس واحد	آدم بن عبدالعزيز	65
أأبحر هل لهذا الليل صبح	بشار بن برد	66
ألم تربع على الطل الطماس	أبو نواس	66
وفرع يزين المتن أسود فاحم	أمرئ القيس	67
ألا أيها القمر الأزهر	العباس بن الأحنف	67
كأنها من حسنها درة	أبو العتاهية	67
لما تلاقينا قضى الليل نحبه	مسلم بن الوليد	67
فإن تعطني أفرغ إليك محامدي	بشار بن برد	63
وأخفت أهل الشرك حتى أنه	أبو نواس	63
حيَّ الديار إذا الزمان زمان	أبونواس	63
يا حبذا سفوان من متربع	أبو نواس	64
ونبئت قوماً بهم جنة	بشار بن برد	69
خليلي إما مت يوماً وزحزت	المتلمس الضبعي	71
يا حبذا جبل الريان من جبلٍ	جرير	64
فلتحيا وحدة وادي النيل تخرجهم	حسن طه	12
ما كنت قبل اليوم طالب وحدة	مبارك المغربي	13
نشكو إلى الله أنا أمة عرفت	حسن عزت	13
فشلت أمة ينام بنوها	يوسف مصطفى التني	14
مشيت في شوارع المدينة أسامر	جيلي عبدالرحمن	18

لنا بالطب جهل أي جهل	عبدالله عمر البنا	33
حزت الحقوق وجزت ما لم يرقه	توفيق صالح جبريل	35
تموت الأُسدُ في الغابات جوعاً	حسن نجيلة	39